المبحث الخامس

ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا (الموجة الثانية) (*)

دراسة تحليلية خلال العقد الأخير من القرن العشرين

---

* أجرى الدراسة: أ.د. حسني نصر – كلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

لقد كان من المفاجئ للباحثين في الصحافة والعلوم السياسية أن يشهدوا انتقال ما أسماه صامويل هنتنجتون بالموجة الثالثة للديمقراطية[1] "third wave of democratization" إلى أجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء بعد أن كانت قد اجتاحت وسط وشرق أوروبا والإتحاد السوفيتي السابق في نهاية ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي. ولعل هذا ما دفع باحثون آخرون مثل فرنسيس فوكوياما في أطروحته المثيرة للجدل "نهاية التاريخ" The End of History إلى إعلان انتصار الديمقراطية الغربية على كل الإيديولوجيات التي كانت تنافسها في القرن العشرين كالفاشية والشيوعية[2].

ورغم أن موجة التحول إلى الديمقراطية قد ظهرت في أكثر من دولة في أفريقيا حيث شهدت نصف دول القارة الاثنتان والخمسين انتخابات تنافسية خلال السنوات الثلاثة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣، إلا أن اهتمام الباحثين الغربيين قد إنصب على دراسة الانتقال الديمقراطي في أوروبا والإتحاد السوفيتي السابق، ولم يحظ التحول الديمقراطي في أفريقيا إلا بإهتمام محدود للغاية.[3]

وقد شهدت إفريقيا تحولات جوهرية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي. وعبر البعض عن ذلك بالقول "إن الروح التي كانت تقود حركات الاستقلال في أفريقيا قد عادت مرة أخرى" كما اعتبرها البعض إيذانا بمولد "التحرر

---

[1] يطلق هنتنجتون تعبير الموجة الثالثة على التحول السياسي من أنظمة الحكم السلطوي إلى أنظمة الحكم الديمقراطي ويقول إن هذه الموجة قد بدأت في عام ١٩٧٤ ولا زالت مستمرة حتى صدور كتابة في عام ١٩٩١، بينما امتدت الموجة الأولي للديمقراطية من ١٨٢٨ إلى ١٩٢٦، أما الموجة الثانية فقد كانت قصيرة وامتدت من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٦٢. وقد تلي الموجتين السابقتين موجات عكسية أعادت أنظمة الحكم الديمقراطية إلى السلطوية مرة أخرى. لمزيد من التفاصيل حول هذه الموجات، راجع:

Huntington, Samuel P. (1991), ***The Third Wave: Democratization in the late Twentieth Century*** (Norman: University of Oklahoma Press), pp. 13-26.

[2] Fukuyama, Francis, (1992) ***The End of History and the Last Man*** (New York: Avon)

[3] Bratton, Michael and Nicholas Walle, (1994). "Neopatrimonial Regimes and Political transition in Africa," ***World Politics*** 46. p. 453.

الثاني" لأفريقيا الذي سوف يحولها إلى مجتمع ديمقراطي حر.[١] ورغم الفشل الذي شهدته بعض تجارب التحول الديمقراطي في بعض الدول الأفريقية مثل نيجيريا وكينيا إلا أن النجاح قد حالف تجارب أخرى كما هو الحال في بنين وساحل العاج. ففي بنين التي عانت لمدة ثلاثين عاما من الانقلابات العسكرية المتتالية منذ استقلالها عن فرنسا في عام ١٩٦٠ بدأت تجربة "مذهلة"[٢] للتحول الديمقراطي في عام ١٩٩٠ وانتقلت من مصاف الدول الماركسية إلى الدول الديمقراطية[٣]. وقد تأكد نجاح تجربة بنين في عام ١٩٩٦عندما أقصت الانتخابات الرئاسية الرئيس نيسفور سولجو الذي كان قد أنتخب في عام ١٩٩١، من منصبه.

وقد كان للتحولات السابقة مردودات ايجابية وسلبية على حرية الصحافة في العالم بوجه عام وفي أفريقيا على وجه الخصوص. فقد مثل انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وسقوط الكتلة الشيوعية وقيام عدد من الديمقراطيات الجديدة في مطلع التسعينات من القرن الماضي نقطة تحول في حرية الصحافة في العالم.وقد تبدى هذا التحول في "إقرار منظمة بيت الحرية Freedom House التي تراقب أوضاع حرية الصحافة في العالم بأن عدد الدول التي أصبحت الصحافة تتمتع فيها بحرية جزئية قد تزايد بمعدل الثلثين في العقد الأخير من القرن العشرين"[٤].

ولم تكن الدول الأفريقية بمعزل عن هذا التحول إذ تشير التقارير السنوية[٥] لمنظمة بيت الحرية إلى تزايد مستمر في عدد الدول الأفريقية التي تتمتع فيها الصحافة بحرية كاملة (١١% من دول القارة) وحرية جزئية (٣٢% من دول القارة) وهي نسب

---

(1) African News Bulletin (ANB-BIA (1998) , ***Africa: Manifestations of democracy An independent Press and a Free Judiciary*** , ANB-BIA Supplement, No 345- 01/05/1998.

(2) Diamond, Larry (1993), " International and Domestic Factors in Africa's Trend Toward Democracy," in Festus Eribo and others, eds., ***Window on Africa: Democratization and Media Exposure*** (Greenville, NC: East Carolina University), p. 13.

(3) Diamond, Larry, Juan J. Linz, and Seymour martin Lipest, (1995), "Introduction: What Makes for Democracy?" in Diamond, Linz, and lipest, ***Politics in Developing Countries: Comparing experiences with Democracy,*** 2nd ed. (Boulder, CO: Lynne Rienner) pp. 8-9.

(4) Balding, Timothy (2003), Press Freedom: Ten Years On..." ***Independent Journalism Center.*** Available Online at: http://ijc.iatp.md/en/activities/pfw/tenyears_wan.html

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هوية هذه المنظمة وتقاريرها والمنهج الذي تتبعه في إعدادها، راجع: حسني محمد نصر (٢٠٠٢) "واقع وآفاق حرية الصحافة في دول الخليج العربي". بحث قدم في ***مؤتمر "ثورة الاتصال والمجتمع الخليجي: الواقع والطموح"، مسقط- عُمان- جامعة السلطان قابوس (٢٢-٢٤ ابريل ٢٠٠٢). ص ص:١٥-١٧.***

تفوق مثيلاتها في نفس الفترة في منطقة الشرق الأوسط الأكثر تقدما. ولم يعد من الغريب أن تتساوى حرية الصحافة في جنوب أفريقيا ومالي وبنين بمثيلاتها في ديمقراطيات غربية عريقة مثل المملكة المتحدة وإيطاليا وفرنسا.

ونتيجة للتحولات السياسية والإقتصادية والتكنولوجية والإعلامية السابقة برزت في أفريقيا في مطلع تسعينات القرن الماضي ظاهرة "الصحافة المستقلة عن الحكومة". وقد فتح ظهور هذا النوع من الصحافة وانتشاره في بعض البلدان الأفريقية في العقد الماضي مجالا جديدا للبحث استهدف بالإجمال بحث مدى استقلال هذه الصحف سياسيا وإقتصاديا عن الحكومات، والمقارنة بين ما كانت تتعرض له من ضغوط حكومية مباشرة في السابق وما تتعرض له من ضغوط حكومية وغير حكومية مباشرة وغير مباشرة بعد انتشارها في العقد الماضي، وبحث ما يسمي بالصحف شبه المستقلة والتي لم تستقل تماما عن السلطة من جانب ومن الصعب تصنيفها ضمن الصحف الحكومية من جانب آخر، بالإضافة إلى قياس درجة الضغوط التي تتعرض لها الصحف المستقلة وشبه المستقلة مع التركيز على الضغوط التي تتعرض لها من المؤسسات الإقتصادية المحلية والأجنبية وجماعات الضغط.

موضوع الدراسة:

بعد مرور أكثر من عشر سنوات على إعلان وينـدهوك الذي أعرب فيه الصحفيون والناشرون الأفارقة عن حاجة القارة السمراء الملحة إلى صحافة مستقلة باعتبارها متطلبا أساسيا من متطلبات التطور الديمقراطي والإقتصادي، تبدو الحاجة- خاصة في المدارس البحثية العربية في الإعلام- إلى إلقاء الضوء على ظاهرة الصحافة المستقلة وتقييم التجارب التي أنتهجتها بعض دول القارة في هذا الصدد ومن ثم استخدام نتائج هذا التقييم في التنبؤ بمستقبل الصحافة المستقلة في القارة الإفريقية.

وتنبع أهمية الدراسة ليس فقط في كونها تلقي الضوء على ظاهرة الصحافة المستقلة التي صاحبت التحول السياسي إلى الديمقراطية في بعض الدول الأفريقية ولكن أيضا في انعكاس هذه الظاهرة على مجمل الأوضاع الصحفية في القارة السمراء، إذ تساعد في التنبؤ بالتحولات السياسية والصحفية في القارة إنطلاقا من

"تحديد العوامل والقوى التي تساعد في حدوث هذا التحول، والعوامل والقوى التي تؤدي إلى نجاحه أو فشله"[1].

كما تنبع أهمية الدراسة من الرصيد المعرفي الذي توفره للباحثين والدارسين في الإعلام الدولي باللغة العربية حيث تندر الدراسات التي تتناول الأوضاع الإعلامية والصحفية في القارة الأفريقية في المدرسة العربية، ويتوقف العدد القليل منها عند حدود تاريخية لا تتجاوز السبعينات من القرن الماضي.

ويكتسب موضوع الدراسة أهمية أيضا من ارتباطه بالتغيرات السياسية العالمية والإقليمية والوطنية التي شهدها العالم وشهدتها القارة الأفريقية في تسعينات القرن الماضي، بالإضافة إلى ارتباطه بحقول بحثية عديدة في الصحافة والإعلام مثل النظم الصحفية، وتاريخ الصحافة، ونظريات الصحافة، وتشريعات الصحافة، والصحافة والمجتمع، والصحافة الدولية، وارتباطه الوثيق أيضا بقضية حرية الصحافة، على أساس أن قيام وازدهار الصحف المستقلة يُعد أحد أهم المؤشرات في الحكم على درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة في المجتمعات المختلفة.

ويضاف إلى ما سبق أن التحولات الجوهرية التي شهدتها الدول الأفريقية على الصعيد الإعلامي (الصحفي) ومرور الصحافة الأفريقية بمراحل تطور مهمة لم تتح في قارات أخرى تحتاج من الباحثين العرب والمصريين على وجه الخصوص – نظرا لإنتماء مصر الجغرافي والتاريخي للقارة– إلى متابعتها بالرصد والتحليل على المستويين التاريخي والآني. فقد شهدت القارة المرحلة الاستعمارية الطويلة التي ظهرت خلالها الموجة الأولي من الصحف المستقلة ولعبت دورا في حركة التحرر الوطني، ثم شهدت فترة ما بعد الاستقلال التي اختفت خلالها تقريبا ظاهرة الصحافة المستقلة، وتشهد حاليا مناخ العولمة والتحولات السياسية والاقتصادية الجذرية الذي مهد الطريق لظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة وفتح آفاقا جديدة لبحث هذه الظاهرة.

---

[1] Monga, Celestin (1997), "Eight Problems with African Politics," ***Journal of Democracy***, 8, 3 (July 1997): P.156.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى رصد وتفسير ظاهرة الصحافة المستقلة عن الحكومة في الدول الأفريقية والعوامل التي أدت لظهورها للمرة الثانية في العقد الأخير من القرن العشرين، والعوامل التي تؤثر فيها، وانعكاساتها على أوضاع الصحافة الأفريقية بصفة عامة.

كما تهدف الدراسة إلى بحث طبيعة الصحافة المستقلة التي تعود جذورها إلى مصادر تاريخية مختلفة، لبيان تأثير الميراث التاريخي الصحفي على الظاهرة وعلى آليات عملها.

وفي ضوء ما سبق تسعي الدراسة إلى كشف وتوصيف وتحليل العوامل والقوى التي ساهمت في نمو واستمرار الصحافة المستقلة عن الحكومة والمختلفة الخصائص في بعض الدول الأفريقية، وتتحدد الأهداف التفصيلية للدراسة فيما يلي:

١. رصد وتحليل عوامل ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا في العقد الأخير من القرن العشرين.
٢. رصد وتحليل دور المجتمع الدولي في دعم ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا.
٣. استخلاص السمات الخاصة بالموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا.
٤. رصد وتحليل وتفسير الدور الذي تقوم به الصحافة المستقلة في أفريقيا في دعم التحول إلى الديمقراطية.
٥. رصد وتحليل وتفسير الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
٦. رصد وتحليل وتفسير الضغوط الإقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا.

تساؤلات الدراسة:

في ضوء الطبيعة الكشفية الوصفية التحليلية، وسعيا إلى تحقيق الأهداف السابقة تطرح الدراسة عددا من التساؤلات التي تحاول الإجابة عنها، وهي:

١. ما العوامل الخارجية والداخلية التي ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

٢. ما طبيعة وأبعاد الدور الدولي في تشجيع ظهور واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

٣. ما أبرز سمات الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

٤. ما طبيعة وحدود دور الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

٥. ما الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

٦. ما الضغوط غير الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

منهج الدراسة:

تنتمي الدراسة التي تتناول بالرصد والتحليل ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا إلى نوعية البحوث الوصفية التحليلية التي تؤصل لهذه الظاهرة في سياقاتها المجتمعية والإعلامية والثقافية من خلال أدوات البحث الكيفية مثل دراسة الحالة (دول ممثلة) وتحليل الوثائق وتحليل المصادر من المستوى الثاني.

ويتفق المدخل المنهجي الكيفي مع طبيعة الموضوع من جانب وخصوصية التراث البحثي فيه من جانب آخر في مختلف المدارس البحثية الإعلامية الذي يقوم على تحليل وتفسير مثل هذه الظواهر الجديدة وربطها بالواقع الإعلامي العام أكثر مما يقوم على وصف هذه العلاقة والتوقف عند هذا الحد.

وتعتمد الدراسة منهجية تقوم على المسح التحليلي الشامل للبحوث العلمية المنشورة في دوريات أجنبية وعربية أو في كتب ذات طابع بحثي وتتصل بزاوية أو أكثر من زوايا الموضوع. فظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا لا يمكن أن تتم دراستها بمعزل عن أطرها العامة التاريخية والمعاصرة، وذلك بسبب ارتباطها ارتباطا

وثيقا بحقول بحثية أكثر اتساعا مثل بحوث تاريخ الصحافة وبحوث حرية الصحافة وبحوث دور الصحافة في المجتمع وبحوث النظم الصحفية وبحوث الصحافة الدولية.

الدراسات السابقة:

أدى ارتباط ظاهرة الصحافة المستقلة بالتحولات السياسية التي شهدتها الدول الأفريقية في العقد الأخير إلى ظهور بحوث تتناول هذه الظاهرة ضمن معالجتها لعلاقة الصحافة بالسلطة. وتهتم هذه البحوث بدراسة ظاهرة الصحف المستقلة عن الحكومة في أفريقيا من منظور بحث مدي استقلالها عن الحكومات ودرجة استقلالها السياسي والإقتصادي عن الدولة، والمقارنة بين ما كانت تتعرض له من ضغوط حكومية وبين ما تتعرض له من ضغوط غير حكومية بعد أن رفعت الحكومة في بعض الدول يدها عنها في التسعينات من القرن الماضي.

والواقع أن البحوث والدراسات التي اهتمت برصد وتحليل ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء سواء بشكل منفصل أو ضمن قضايا أخرى كعلاقة الصحافة بالسلطة وحرية الصحافة، تنتمي في مجملها إلى المدرسة الغربية الانجلوسكسونية في بحوث الإعلام، على أساس أن المنشور من هذه البحوث والذي يمكن الوصول إليه مكتوب في أغلبه باللغة الإنجليزية. وإذا كنا لا نستطيع الجزم بعدم وجود دراسات غير إنجليزية في هذا الحقل إلا أن السياق العام يؤكد أن حجم اهتمام تلك المدارس- خاصة المدرسة الفرنسية- لا يرقي إلى حجم اهتمام المدرستين الأمريكية والبريطانية به، وهو ما قد يفسره انتشار استخدام اللغة الإنجليزية حتى بين الباحثين الأفارقة وكثرة الدوريات ومواقع الانترنت المعنية بالصحافة في أفريقيا بتلك اللغة. أما المدرسة العربية فتبدو إسهاماتها في حقل الإعلام الإفريقي نادرة للغاية.

ويتمثل التراث الأكاديمي العربي في مجال الصحافة الأفريقية في دراسات د.عواطف عبد الرحمن الرائدة في هذا المجال، وبحث منشور عن حرية الصحافة في غانا بعد الاستقلال. ولم يتوصل الباحث إلى دراسات أخري تتناول الصحافة الإفريقية سواء في المدرسة الأكاديمية المصرية أو غيرها من مدارس الإعلام في العالم العربي المتاح لنا التعرف على إنتاجها العلمي. لذلك لا يجد الباحث في الصحافة الأفريقية أمامه سوى التراث الغربي في هذا الموضوع، وبالتحديد الصادر منه باللغة

الإنجليزية، نظرا لصعوبة الوصول إلى الصادر منه بلغات أوروبية أخري لأسباب تتصل بعدم إتقان هذه اللغات.

وتعود دراسات د. عواطف عبد الرحمن في هذا المجال إلى العام ١٩٨٠ وقد جُمعت في كتاب بعنوان "مقدمة في الصحافة الأفريقية"[١]. ويتضمن الكتاب دراستين الأولى تاريخية وصفية مقارنة لأوضاع الصحافة الأفريقية أثناء الفترة الاستعمارية، والثانية دراسة تحليلية للقضايا المهمة التي تواجه الصحافة الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال، ومن بينها قضية حرية الصحافة، وعلاقة الصحافة بالسلطة وأنماط ملكية الصحف.

أما البحث الخاص بحرية الصحافة في غانا فقد نشر في عام ١٩٩٩ تحت عنوان " الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا، دراسة حالة "غانا " من الاستقلال حتى بداية التسعينات[٢]. ورغم أهمية هذه الدراسة التي نشرت بعد انقطاع المدرسة المصرية في الإعلام عن بحث أوضاع الصحافة الأفريقية نحو عشرين عاما، إلا أنها نظرا لتوقفها الزمني عند بداية التسعينات من القرن الماضي لم تتعرض لظاهرة الصحافة المستقلة موضوع الدراسة.

أما البحوث الصادرة باللغة الإنجليزية- سواء أعدها باحثون غربيون أو باحثون أفارقة -فإنها- رغم تحفظنا على مداخل وأهداف بعضها- تقدم كما هائلا من المعلومات والتحليلات وإضافات معرفية مهمة حول أوضاع الصحف المستقلة غير الخاضعة للسيطرة الحكومية في بعض البلدان الأفريقية دون تعميم على القارة ككل. وعلي سبيل المثال فإن برجر[٣] يميز في بحثه حول الصحف المستقلة في جنوب أفريقيا بين نوعين من الصحف هما: صحف الشركات الإعلامية التي تعتمد على

---

[١] عواطف عبد الرحمن (١٩٨٠)، **مقدمة في الصحافة الأفريقية**، القاهرة، الجمعية الأفريقية- سلسلة كتب أفريقية، الكتاب الرابع.

[٢] حسني محمد نصر (١٩٩٩)، "الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا. دراسة حالة "غانا " من الاستقلال حتى بداية التسعينات" في: ***مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية***. جامعة الإمارات العربية المتحدة، مجلد ١٥، عدد ٢، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٩. ص ص:١٥٧-١٨٩.

[3] Berger, Guy (2000). Toward 2000: Independent Media in Southern Africa. Paper presented at Buntstift Conference. ***Institute for Advancement of Journalism.*** Johanneshurg, South Africa

آليات السوق، والصحف ذات الملكية الأجنبية، ويقرر أن الصحافة المستقلة في جنوب أفريقيا تقدم نمطا جديدا من أنماط العلاقة بين الصحافة والسلطة في العالم، ويرصد تباين النظرة إليها في السبعينات باعتبارها الصحافة التي تعمل خارج سيطرة نظام الحكم العنصري وفي التسعينيات باعتبارها الصحافة التي تقع خارج السيطرة الحكومية. ويربط جاكوب[1] بين تزايد استقلال الصحف عن الحكومة في جنوب أفريقيا وتزايد انتقاد الحكومة على صفحات الصحف وبين التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في البلاد في أعقاب انتهاء نظام الفصل العنصري وإجراء أول انتخابات ديمقراطية في البلاد في العام ١٩٩٤.

وقد انطلق عدد من الباحثين من التحولات التي شهدتها القارة الأفريقية والمتمثلة في الاتجاه نحو الإنفتاح السياسي وإقرار التعددية السياسية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في بعض الدول وتأكيد الارتباط الوثيق بين الإصلاح السياسي والإصلاح الصحفي- إن جاز التعبير- بمعنى إصلاح أنماط العلاقة بين السلطة والصحافة، إلى تناول ظاهرة الصحافة المستقلة باعتبارها محصلة لهذه التحولات. فقد اهتم بعض الباحثين برصد هذه الظاهرة لكونها مؤشرا على قيام التعددية الصحفية الناتجة عن التعددية السياسية وبحث موقف الحكومات من الصحف الجديدة المعارضة لها، والدور المنوط بالصحافة القيام به في ما يسمي بالمرحلة الانتقالية Transitional Period وانعكاسات هذه المرحلة على صناعة الصحافة.

وقد تزايدت في السنوات الأخيرة الدراسات التي تبحث أوضاع الصحافة وعلاقتها بالسلطة السياسية في إطار دراسة التحولات السياسيةpolitical transition التي شهدتها دولا عديدة في أفريقيا في النصف الثاني من عقد التسعينات من القرن الماضي.

فقد حاول بعض الباحثين مثل روسيه وسوترلين[2] في فترة مبكرة الربط بين سقوط الكتلة الشيوعية في مطلع التسعينيات من القرن الماضي وبين ما اعتبراه بزوغ عهد جديد يقل فيه نفوذ القوى السلطوية في العالم الثالث، واستند الباحثان إلى بعض

(1) Jacobs, Sean (1999). Tensions of a Free Press: South Africa after Apartheid. ***Research Paper.*** R-22. The Joan Shorenstein Center: Press , politics, Public Policy. Harvard University.

(2) Russett, Bruce and Sutterlin, James S. (1991). The U.N in a New World Order. ***Foreign Affairs.*** Vol. 70. No. 2. Pp. 68-83.

مظاهر التحول السياسي في أفريقيا مثل تزايد الضغوط من أجل الإصلاح السياسي والمطالبة الشعبية بإجراء انتخابات حرة متعددة الأحزاب، وإقدام بعض الدول الأفريقية مثل زامبيا ومالاوي وغانا وساحل العاج بإجراء مثل هذه الانتخابات. كما اهتم باحثون آخرون ببحث العلاقة بين التحول الإيديولوجي وبين القيود المفروضة على الصحافة في إطار علاقتها بالسلطة السياسية. وقد عبر بعض الباحثين مثل باركر[1] عن تفاؤلهم من أن يؤدى التحول الأيديولوجي في علاقة الشرق والغرب إلى تخفيف القيود الحكومية المفروضة على الصحافة في أفريقيا، علي أساس أن سياسات الإصلاح والمصارحة التي شهدتها دول عديدة في العالم سوف تشجع الأفارقة على المطالبة بمجتمعات أكثر انفتاحا وأكثر ليبرالية وصحافة تلبى تطلعات الشعوب وفق السياق الليبرالي.

واتجه باحثون إلى التركيز على ما طرأ على العلاقة بين الصحافة والسلطة في الدول الأفريقية نتيجة الانتقال من الحكومات العسكرية إلى الحكومات المدنية المنتخبة، ومدى قرب هذه العلاقة أو بعدها من نموذج علاقة الندية بين الصحافة وبين الحكومات الديمقراطية الجديدة. ومن أبرز هؤلاء الباحثين لوبينو[2] الذي بحث حالة نيجيريا وكيف تأثرت علاقة الصحافة بالسلطة نتيجة انتقال الحكم من العسكريين إلى المدنيين.

وتسيطر على بعض البحوث في هذا المجال النظرة التشاؤمية للمستقبل حيث يرى فيرناندز[3] أن التغيرات السياسية التي تشهدها بعض الدول الأفريقية لازالت في معظمها تغيرات في الشكل وليس في الجوهر وأنها لم تترك أثرا إيجابيا على الأنماط السلطوية للعلاقة بين الصحافة والسلطة في تلك الدول.

علي صعيد ثان فقد أدى الاتجاه العالمي نحو اقتصاد السوق الحر وعولمة الاقتصاديات وتحرير التجارة الدولية في أعقاب سقوط التطبيقات المؤسسية للفكر

---

(1) Parker, Elliott (1997). Democratization and Press Freedom in Africa's High Context Culture. Paper presented at: ***AEJMC Annual Conference.*** Central Michigan University. Sept. 18, 1997.

(2) Lbeanu, Okechukwu (2000), Ethnicity and Transition to Democracy in Nigeria: Explaining the Passing of Authoritarian Rule in a Multi- ethnic Society. ***African Journal of Political science.*** Vol.5. No.2.

(3) Leela Fernandes, (2000). "Nationalizing 'The Global': Media images, cultural politics and the middle class in India. ***Media, Culture & Society.*** Vol. 22. No 5. Pp. 611-628.

الاقتصادي الاشتراكي بانهيار الاتحاد السوفيتي السابق إلى تأثيرات ضخمة على الصحافة كصناعة. وتمثلت هذه التأثيرات في بعض الدول في تقليص دور الدولة في صناعة الصحافة من جانب والحد من تدخلها في إدارة وتحرير الصحف من جانب آخر. كما فتح الاتجاه نحو إقتصاد السوق الحر إلى ظهور الصحف المستقلة- إقتصاديا على الأقل- في بعض الدول الأفريقية.

وقد أثر هذا التحول في النهج الإقتصادي على البحوث ذات الصلة بالصحافة المستقلة في الدول الأفريقية التي اتبعت هذا النهج. ويبرز هذا التأثير في انتقال مراكز الاهتمام البحثي في هذا الموضوع من رصد وتحليل الضغوط التي تتعرض لها الصحافة من الحكومات في الدول الأفريقية إلى رصد وتحليل الضغوط التي أصبحت تتعرض لها الصحافة المستقلة من جانب الشركات والمؤسسات المالكة للصحف أو ما يسمي ضغوط السوق الناتجة عن التحولات الاقتصادية. وقد رصد اليكتون[1] أشكال السيطرة الجديدة على الصحافة في بعض الدول الأفريقية وأوضح كيف انتقلت السيطرة على الصحافة في هذه الفترة من السيطرة الحكومية إلى سيطرة الأحزاب الكبرى ومن السيطرة عبر القوانين والقمع إلى السيطرة بالإعلان والتمويل من خلال شراء الأحزاب المساحات الإعلانية في الصحف الموالية لها ومنعها عن الصحف المناوئة لها.

وعلي صعيد ثالث فقد أثرت التحولات التكنولوجية المتسارعة التي شهدها الاتصال الجماهيري بصفة عامة وصناعة الصحافة على وجه الخصوص علي ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا. فقد أشار موكسا[2] إلى أن تزايد استخدام التكنولوجيا في وسائل الإعلام الأفريقية خاصة الصحافة قد ولد مزيدا من الاعتماد على السلطة السياسية من جانب وعمق عدم التوازن في توزيع المنتج الصحفي في المجتمع. كما خلص بيرمان[3] إلى أن تزايد استخدام التكنولوجيا في أفريقيا من المحتمل أن يدعم فكرة إعادة توزيع القوى الصحفية القائم في معظم الدول الأفريقية وتوزيع الثروة

---

(1) Olukotun, Ayo (2000). " The transition and the Media". ***African Journal of Political science.*** Vol.5. No.2.

(2) Mukasa, S. G. (1992). Towards pan-African cooperation in satellite communication: An analysis of the RASCOM project. ***Africa Media Review***, 6, 13-30.

(3) Berman, B. J. (1992). ***The state, computers, and African development: The information non-revolution.*** In S. G. Lewis & J. Samoff (Eds.), Microcomputers in African development: Critical Perspectives (pp. 213-229). Boulder, CO: Westview. P.227.

الصحفية على جماهير الشعب ولكنه سيبقي على العلاقة السلطوية بين الدولة وبين الصحافة.

خطة الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- المبحث الأول: الأطر النظرية لبحث ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الثاني: السياق التاريخي للصحافة المستقلة في إفريقيا جنوب الصحراء:
  - ماهية الصحافة المستقلة
  - نشأة الموجة الثانية من الصحافة المستقلة
  - المجتمع الدولي والصحافة المستقلة في أفريقيا
  - مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة في أفريقيا
  - السمات العامة للصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الثالث: دور الصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الرابع: الضغوط القانونية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
  - الضغوط الحكومية في ضوء الخبرة التاريخية للصحافة الأفريقية
  - وسائل الضغط على الصحف المستقلة في أفريقيا
  - تفسير تباين الضغوط الحكومية على الصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الخامس: الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
  - مصادر تمويل الصحافة المستقلة في أفريقيا
  - الضغوط الإقتصادية والتكنولوجية والمهنية
- الخاتمة، وتشمل الإجابة عن تساؤلات البحث.

المبحث الأول

الأطر النظرية للدراسة

شهدت الصحافة في أفريقيا في العقد الماضي تحولات جوهرية على مستوى الأطر السياسية والإقتصادية والمهنية والقانونية التي تعمل في ظلها. وقد أدت التحولات التي شهدها العالم بوجه عام والدول الأفريقية والآسيوية بوجه خاص إلى سعي الباحثين إلى البحث عن مداخل نظرية جديدة لدراسة الصحافة الأفريقية بعد أن ثبت لهم أن المداخل النظرية الغربية التي سيطرت علي هذا الحقل البحثي حتى مطلع التسعينات من القرن الماضي لم تعد قادرة على إثراء هذا الحقل معرفيا ومنهجيا.

وقد أوضح بعض الباحثين مثل مانيف[1] وايفرت[2] أن الصعوبة الأكبر في تبنى مدخل النظريات الأربع في بحث وتفسير علاقة السلطة والصحافة في الدول الأفريقية، تتمثل في كونه مجرد افتراضات نظرية فلسفية، وبالتالي لا يُعد قابلاً للتطبيق على شكل واسع، خاصة في التعامل اليومي بين الحكومات والصحافة في هذه الدول. كما أن هذه النظريات تركز فقط على الجوانب القانونية والمؤسسية في العلاقة، وهى رغم أهميتها لا تكفى بأي حال في فهم طبيعة العلاقة ومقارنتها في الأنظمة الصحفية والسياسية المختلفة.

وقد ظهر في السنوات الأخيرة تيار بحثي نقدي أفريقي يركز على إشكالية عدم إمكانية عزل العلاقة بين الصحافة والسلطة السياسية عن سياقاتها الاجتماعية والثقافية والإعلامية في الدول الأفريقية، وصعوبة بحثها وفقا للنماذج والنظريات الغربية التي تسيطر على البحوث الإعلامية في العالم بفعل التبعية البحثية لهذه النماذج والنظريات.

ويشير ميرل[3] إلى أن الأفراد في بعض الثقافات يشعرون براحة أكبر في ظل المجتمعات السلطوية، ويؤيدون- على غير ما هو شائع- الصحافة والسلطة السياسية

---

(1) Manaev, Oleg (1999). Rethinking the Social Role of the Media in a Society in transition. ***Canadian Journal of Communication.*** Vol. 20. No. 1.

(2) Dennis, Everette E. (1993). The Internationalization of the First Amendment. In Oleg Manaev & Yuri Priliuk (Eds.), ***Media in Transition: From Totalitarianism to Democracy (pp.151-157).*** Kiev: ABRIS.

(3) Merrill, J. C. (2000). ***Power, stability, and social harmony: the shift away from press freedom.*** Paper presented at the International Media Conferenee 2000, Ohio University, Athens, Ohio.

معا. ووصل الأمر ببعض الباحثين مثل فيل هاريس[١] إلى إعلان أن أنظمة الصحافة القائمة (الأنظمة الأربعة) لم تعد تصلح لدراسة الظواهر الجديدة في حقل علاقة الصحافة والسلطة السياسية ليس فقط في الدول الأفريقية ولكن أيضا في الدول المتقدمة.

ويؤكد الباحثون الأفارقة على ضرورة أن يتم بحث علاقة الصحافة بالسلطة السياسية في الدول غير الغربية في سياقها التاريخي وسياقها الاجتماعي- السياسي. ويقول UKO إن عدم وضع الحقائق السياسية والثقافية والتاريخية للدول غير الغربية في مثل هذه البحوث قد ضلل العديد من الباحثين الغربيين الذين تصوروا أن الصحافة لا يمكن أن تعمل بكفاءة في مناخ سياسي يختلف عن النموذج الديمقراطي الغربي. وفي هذا السياق ينتقد UKO المحددات النظرية التي وضعها وليام هاشتن لازدهار الصحافة وهي: وجود حكومة برلمانية متعددة الأحزاب، وحماية قانونية، أساس تجاري من خلال شركات[٢].

ويدلل UKO علي فشل الباحثين الغربيين في فهم الاعتبارات السياسية والثقافية والتاريخية عند تفسير علاقة الصحافة والسلطة بنموذج نيجيريا التي عاشت فيها الصحافة لفترات طويلة تحت الحكم العسكري وكانت أوضاعها أفضل بكثير مما كانت عليه تحت الحكم المدني البرلماني المتعدد الأحزاب[٣].

ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين الغربيين من أمثال هاشتن[٤] ولاري دايموند[٥] وفرانك بارتون[٦] إلى التعبير عن اندهاشهم من درجة الحرية التي تمتعت بها الصحافة النيجيرية تحت الحكم العسكري. ويأتي هذا الاندهاش نتيجة عدم توقعهم وجود أي درجة من حرية الصحافة في الدول التي لا تسير على النهج الغربي.

---

(1) Harries, Phil (1996). Alternative Communication Networks: Globalization, Civil Society and Communication. ***Media Development.*** Issue 3/ 1996.

(2) Hachten, W., (1971) ***Muffled Drums***. Ames: Iowa State University Press. P.46.

(3) Uko, Ndaeyo. (2000) ***"Press Freedom under Military Rule: The Nigerian Phenomenon"***. Paper Presented in JEA Conference (Journalism Education Association "South Pacific". Australia, University of Queensland.

(4) Hachten, W., (1971) ***Muffled Drums***. Ames: Iowa State University Press. P.46.

(5) Diamond, L (ed.) (1988), ***Democracy in Developing Countries: Africa***. London: Adamantine Press.

(6) Barton, F. (1979) ***The Press of Africa.*** London: Macmillan.

فالنموذج التنموي للصحافة- علي سبيل المثال- الذي يسير على فرضياته العدد الأكبر من الباحثين الغربيين في هذا المجال لاقي في السنوات الأخيرة اعتراضات عديدة من جانب باحثين ينتمون إلى المدرسة النقدية الغربية مثل لامبث[1] وباحثين أفارقة مثل أيديني[2] علي أساس أنه شكل من أشكال تحكم السلطة السياسية في الصحافة ولا يخرج عن كونه بديلا إسميا للنموذج الشيوعي والسلطوي.

ويوظف البحث المحكات الأساسية التي قدمها روتزل وهافنر[3] للحكم على استقلالية الصحافة، وهي:

١- هل هناك سيطرة قوية للحكومة على وسائل الإعلام والصحافة.

٢- هل الوظيفة الأساسية للصحافة هي إخبار الناس بما تريد الحكومة أن يعلموا به فقط.

٣- هل تعمل الحكومة كحارس بوابة لمنع نشر المعلومات التي تشعر أنها قد تهدد سلطاتها.

٤- هل تعمل الصحافة كخادمة للدولة.

وذلك مع الأخذ في الاعتبار الحالات الاستثنائية التي قد تلجأ فيها بعض أنظمة الحكم الديمقراطي الجديدة في أفريقيا إلى تفعيل المحددات الأربعة السابقة عندما يكون الحزب الحاكم في خطر ، أو عندما تُواجه الحكومة بمعارضة شديدة في الداخل.

كما يوظف البحث المدخل القيمي الذي وضعته أوليج مانييف[4] ويتضمن عدة مؤشرات للحكم على اتجاه النظام الصحفي إلى أحد الاتجاهين: السلطوي والليبرالي. ومن هذه المؤشرات كمية المعارضة (النقد) الموجه إلى الحكومة أو المسموح بتوجيهه إليها في الصحافة المستقلة عنها، وعدد قوانين الصحافة الموجودة في الدولة ودرجة تطبيقها. وترى مانيف أن تطبيق هذه المؤشرات يتيح للباحثين الاقتراب من حقيقة

(1) Lambeth, E. D. (1995). Global media philosophies. In J. C. Merrill (ed.), Global Journalism: Survey of International Communication (3rd ed.,). White Plains, NY: Longman. pp. 3-18

(2) Edeani, D. O. (1993). Role of development journalism in Nigeria's development. ***Gazette,*** Vol. 52. Pp. 123-143.

(3) Kim B. Rotzoll & Janes E Haifner (1990). "***Advertising In Contemporary Society***" , Ohio : South Western Publishing Co.

(4) Manaev, Oleg. (1993). Mass Media in the political and economic System of Transition Society. In Oleg Manaev & Yuri Priliuk (Eds.), ***Media in Transition: From Totalitarianism to Democracy*** (pp. 119-150). Kiev: ABRIS.

أوضاع الصحافة في الدول النامية وتحديد الأنماط المناسبة من العلاقة بين الصحافة وبين السلطة السياسية.

وتوظف الدراسة أيضا نموذج الإعلام المفتوح والإعلام المغلق الذي اقترحه فنشتين[1] في تحليله لحرية الصحافة في أفريقيا، ويتضمن هذا النموذج تحليل عاملين هما: ما إذا كانت الرسالة الإعلامية تصل إلى عدد محدود من الجمهور المستهدف أم لا، وما إذا كانت هناك أية قيود على لهجة ومحتوى الرسالة الإعلامية. وخلص إلى تصنيف النظام الصحفي في القارة الأفريقية ضمن نظام الإعلام المُقيد، وفيه يُقيد حق الجمهور في تلقى الرسالة الإعلامية التي تكون محدودة في العدد والمضمون، ونظام الإعلام الموجه الذي يتكون من جمهور مقيد ورسالة حرة، كما هو الحال عندما تحد معدلات الأمية المرتفعة من قراءة الصحف في الدول الأفريقية، أو تحد الاعتبارات الاقتصادية من شراء الصحف في هذه الدول.

ومن النماذج الوظيفية المهمة التي توظفها الدراسة في بحث ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا، نموذج التحليل الوظيفي، ويقوم على إخضاع هذه الظاهرة للتقييم الوظيفي الذي يشمل تقييم أثر الحكومة على الصحافة .. والأساليب الحكومية لتقييد الصحافة، بما فيها القوانين والتشريعات والإجراءات القضائية، والهيئات الحكومية المشرفة على الصحافة، والأساليب غير الرسمية وتعنى كيفية ممارسة التحكم وأثر هذا التحكم على إقتصاديات الصحف. وكان أكبان[2] قد استخدم هذا النموذج بنجاح في بحثه الذي حلل فيها أساليب الحكومة النيجيرية الرسمية وغير الرسمية مع الصحافة وتأثيراتها على العمل الصحفي وحرية الصحافة.

---

(1) Feinstien, Adam (1995). Fighting for Press Freedom in Africa. In ***Journal of Democracy***. Vol. 6. No. 1.

(2) Akpan, Patience (2000), Africa in the Age of a Global Network Society: The Challenges Ahead. In ***African Studies Quarterly***. Vol.2, No.2.

المبحث الثاني

السياق التاريخي للصحافة المستقلة في افريقيا جنوب الصحراء

ماهية الصحافة المستقلة:

يشير مصطلح "الصحافة المستقلة" إلى الصحف اليومية والأسبوعية ونصف الشهرية والشهرية والصحف غير المنتظمة في الصدور والتي تصدر دون سيطرة مباشرة من الدولة أو الحكومة ويتم وضع سياستها التحريرية واتخاذ القرارات فيها بصورة مستقلة عن الحكومة.

وقد عرف إعلان وندهوك الخاص بتشجيع الصحافة المستقلة في إفريقيا والصادر عن منظمة اليونسكو في عام ١٩٩١، الصحافة المستقلة بأنها "الصحافة المستقلة عن السيطرة الحكومية والسياسية والاقتصادية، أو المستقلة عن الماديات والبنية الأساسية الضرورية لإنتاج وتوزيع الصحف والمجلات والدوريات"[١]

ويقترب مفهوم الصحافة المستقلة من مفهوم الصحافة البديلة Alternative Press الذي يستخدمه بعض الباحثين[٢] للإشارة إلى الصحف غير الحكومية التي تصدر في الأنظمة السياسية الديكتاتورية وتعنى الصحف التي تصدر خارج إطار الحزب الواحد الحاكم في نظام الحزب الواحد أو خارج إطار النخبة العسكرية الحاكمة في الأنظمة العسكرية. ومع هذا فإننا لا نميل إلى إقامة نوع من التطابق بين الصحافة المستقلة والصحافة البديلة على أساس أن الصحافة المستقلة هي ظاهرة تشهدها المجتمعات الديمقراطية أو المجتمعات التي في طريقها إلى التحول الديمقراطي فقط- كما هو الحال في أفريقيا- ويحميها الدستور والقانون إلى حد كبير. ونضيف إلى ذلك أن مفهوم الصحافة البديلة يشير في الأصل إلى المطبوعات التي تصدر خصيصا لتعالج موضوعات خلافية في المجتمع سياسية أو اجتماعية أو إقتصادية، أو لتعبر عن

---

(1) UNESCO (1991), ***Declaration of Windhoek On Promoting An Independent And Pluralistic African Press, Namibia, 1991.*** Available Online at:
http://www.unesco.org/webworld/peace_liberary/UNESCO/HRIGHTS/327-331. HTM

(2) Downing, John (1995), " Media, Dictatorship, and the Reemergence of "Civil Society", In: John Downing, Ali Mohammadi and Annabelle Serbemy-Mohammadi, ***Questioning the Media: ACritical Introduction***, 2nd edition, Thousand Oaks, California: Sage Publications. P.198-199.

وجهات نظر محدودة الجماهيرية، ولا تخرج عن كونها أوراق مصورة تحمل شعارات أو آراء وتقترب في شكلها من المجلة وتوزع بالمجان في الشوارع مثل المنشورات"[1]. وبهذا فإن الصحافة البديلة تبتعد كثيرا عن مفهوم الصحافة المستقلة وتقترب أكثر إلى مفهوم الصحافة السرية Underground Press وهي الصحف التي تصدر لتعارض الاتجاهات العامة الراسخة في المجتمع مثل الصحف التي كانت تدعو إلى إنهاء الرق في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، والصحف التي تدعو في الوقت الحاضر إلى عبادة الشيطان أو تروج للمثلية الجنسية.

وتختلف الصحافة المستقلة اختلافا جوهريا عن الصحافة السرية التي "انتشرت في ستينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية والتي عبرت في هذه الفترة عن مناهضي الحروب والإمبريالية والفصل العنصري ودعاة اليسار والسلام وحقوق السود".[2] فالصحف المستقلة ليست سرية ولا تحصر نفسها في الدفاع عن فكرة ما وإنما هي صحف عامة تباع علنا وتتناول مختلف قضايا المجتمع وتهتم بالمادة الخبرية نفس اهتمامها بمواد الرأي.

بقي أن نشير إلى أن مفهوم الصحافة المستقلة يتسع لدي بعض الباحثين[3] ليشمل الصحافة الحزبية Partisan Press أو بالتحديد صحافة أحزاب المعارضة Opposition Press التي تصدرها الأحزاب السياسية أثناء وجودها خارج السلطة، علي أساس أنها صحف لا تخضع للسيطرة الحكومية وتعبر عن وجهات نظر مخالفة للحكومة، كما قد يضيق المفهوم لدي البعض الآخر فيخرج منه صحافة المعارضة الحزبية ككل على أساس أنها صحف تتقلب مع أحزابها بين الحكم والمعارضة وبالتالي لا يمكن وضعها مع الصحافة المستقلة التي لا يعنيها الحكم أو المعارضة في تصنيف واحد. فالصحافة المعارضة هي "الصحف الدورية التي تنطق بلسان أو تعبر عن أحزاب أو جماعات سياسية تسعي للوصول إلى السلطة وهي في المعارضة"[4]. أما الصحافة المستقلة فإنه

---

[1] Hiebert, Ray, Ungurait, Donald and Bohn, Thomas (1991), ***Mass Media VI: An Introduction to Modern Communication***, New York: Longman. Pp.238-239.

[2] حسني محمد نصر (١٩٩٦)، ***صحافة المعارضة في مصر: دراسة في المفهوم التاريخي خلال الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٤***، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام- جامعة القاهرة. ص٧٢-٧٣.

[3] Campbell, Joseph (1998), ***The Emergent Independent Press in Benin and Cote D Ivoire: From Voice of the State to advocate of Democracy***, Westport, Connecticut: Praeger. P.3.

[4] حسني محمد نصر (١٩٩٦)، صحافة المعارضة في مصر، مرجع سابق، ص٣٥٥.

لا يشترط أن تكون مملوكة لأحزاب سياسية أو تعبر عنها، كما أن وجودها لا يستلزم قيام نظام متعدد الأحزاب يسمح بتداول السلطة.

الموجة الثانية من الصحف المستقلة في أفريقيا:

تمثل ظاهرة الصحافة المستقلة التي تشهدها القارة الأفريقية منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي الموجة الثانية من موجات الصحافة المستقلة في القارة السمراء، حيث ظهرت الموجة الأولي في الفترة الاستعمارية التي شهدت بدايات الصحافة الأفريقية وتميزت بالمبادرات الفردية للمثقفين والسياسيين الأفارقة في إطار النضال ضد المستعمر، وقد انتهت هذه الموجة الأولي بخروج المستعمر، وهو الخروج الذي مثل الانتصار الأكبر للصحافة الوطنية الأفريقية. إلا أن الحكم الوطني أنهى مع الاستعمار كل ما له صلة تقريبا بالصحافة المستقلة وحول الصحف إلى أداة حكومية تابعة من خلال الحزب الواحد أو الحكم العسكري في إطار رؤية للصحافة تجيز استخدامها من قبل الحكومات كوسيلة من وسائل التنمية وتحقيق التحرر السياسي والإقتصادي.

وقد قادت التغيرات التي شهدها العالم بنهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي إلى ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا وهي الموجة التي تزامن ظهورها مع الإصلاحات السياسية التي انتهجتها بعض دول القارة والتي شملت أيضا إنهاء حكم الحزب الواحد في بعض الدول والتحول إلى نظام سياسي متعدد الأحزاب، وإقامة انتخابات حرة وتداول السلطة.

ويطرح ظهور الصحف المستقلة للمرة الثانية في أفريقيا في مطلع تسعينات القرن الماضي تساؤلا حول ما إذا كان هذا الظهور قد تم نتيجة العامل الخارجي فقط المتمثل في سقوط الكتلة الشيوعية والمد الديمقراطي في العالم أم أنه جاء استجابة للأوضاع الداخلية في الدول الأفريقية وعبر عن رغبة وطنية في الإصلاح الصحفي بالتزامن مع الرغبة في الإصلاح السياسي.

والواقع أن كل الدلائل في هذا الإطار تشير إلى اشتراك العاملين الخارجي والداخلي مجتمعين في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا على أساس أن التغيرات

العالمية هي التي دفعت إلى التغيرات الداخلية ومن ثم إلى ظهور الصحافة المستقلة لتواكب هذه التغيرات. كما أن التغيرات العالمية لم تكن لتقود إلى أية تغيرات داخلية في أفريقيا ما لم تكن البيئة الوطنية مهيئة في هذا التوقيت بالذات لتقبل هذه التغيرات.

لقد تركز ظهور الصحافة المستقلة في بداية الموجة الثانية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في الدول التي كانت قائمة بها من قبل أثناء الفترة الاستعمارية مثل بنين والكاميرون وغانا والسنغال. وفي هذا يقول ريشارد ساندبروك[1] أن "الصحافة المستقلة في أفريقيا لم تظهر من العدم.. ففي بعض الدول تعود جذورها إلى فترة النضال الوطني ضد الاستعمار". وفي دولة مثل بنين تعود أصول الصحافة المستقلة إلى السنوات الأولي من الاستعمار الفرنسي خلال العقد الأول من القرن العشرين، وتعود هذه الجذور إلى فترات أبعد في دول أخرى مثل غانا.

وقد امتد ظهور الصحافة المستقلة إلى دول أفريقية أخري لم يكن لها ميراث تاريخي طويل مع هذا النوع من الصحافة وبعضها لم يعرف ظاهرة الصحافة المستقلة في تاريخه، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ظهور الصحافة المستقلة في مالي في مطلع تسعينات القرن الماضي وتمتعها بدرجة كبيرة جدا من الحرية جعلت من مالي أقل الدول الأفريقية جنوب الصحراء تحكما في الصحافة.[2]

ولم يكن تغير النظام السياسي هو العامل الداخلي الوحيد الذي ساهم في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا. ففي بعض الحالات استمر النظام السياسي دون تغير ولكن ما تغير هو استراتيجيته السياسية والإعلامية. وعلي سبيل المثال فإن ظهور الصحف المستقلة في دولة مثل بوركينافاسو في عقد التسعينات يعود إلى "مولد دولة القانون" بحسب تعبير سارة تانو.[3] وقد تنافست في ظل هذه الدولة عدة صحف يومية مستقلة إحداهما تعبر عن وجهة نظر الحكومة، بالإضافة إلى عدد من الصحف الأسبوعية واسعة التوزيع.

---

(1) Sandbrook, Richard (1996), "Transitions Without Consolidation: democratization in Six African States," ***Third World Quarterly*** 17, 1. P.82.

(2) Sussman, Leonard and Kristen Guida, (1998) " Death Toll Down: Press Freedom Up", "***Editor & Publisher*** (24 January 1998) P. 16.

(3) Tanou, Sarah (1999) "Burkina Faso: Spotlight on Press Freedom. ***ANB-BIA Supplement***. No.376-15/10/1999. Available online at: www.peacelink.it/anb-bia/nr376/e01.html

يتضح مما سبق أن الميراث التاريخي للصحافة المستقلة لم يكن هو العامل الرئيس والوحيد في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء، علي أساس أن دولا أخرى لم يكن لها سابق تجربة في الصحافة المستقلة قد شهدت مولد وازدهار الصحافة المستقلة ربما بدرجة تفوق ازدهارها مثيلاتها في دول كان لها تجربة تاريخية جيدة مع هذه الصحافة.

ويمكن الإشارة هنا إلى عوامل أخرى ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا، ومنها:

- برامج تعليم الصحافة في بعض الدول الأفريقية وبرامج تدريب الصحفيين التي نظمتها منظمات غربية، والتي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تشجيع القيم والاتجاهات المتوافقة مع روح الصحافة المستقلة لدي أجيال جديدة من الصحفيين.[1]

- تأثير الصحف الأجنبية التي سمحت بعض الحكومات الأفريقية بدخولها البلاد على تطلعات الصحفيين الوطنيين وتزايد رغبتهم في إصدار صحف مستقلة عن الحكومة على النمط الغربي. وقد دعم هذه التطلعات سفر بعض الصحفيين إلى الخارج للتدريب أو العمل وعمل البعض الأخر كمراسلين للصحف الأجنبية داخل بلدانهم.[2] فقد أدت كل هذه العوامل المتداخلة إلى توطين روح الصحافة المستقلة في نفوس الصحفيين الأفارقة وجعلتهم ينتظرون الفرصة لممارسة ما كانوا يحسدون عليه الصحفيين الأجانب. وعلى هذا كانت المقارنات التي يعقدها الصحفيون الأفارقة بين أنظمة بلدانهم الصحفية والأنظمة الصحفية الغربية من العوامل التي ساهمت في تهيئة المناخ الصحفي في أفريقيا لتقبل ظاهرة الصحافة المستقلة في مطلع التسعينات من القرن الماضي.

---

(1) Ogundimu, Folu Folarin (1997), "Donor- Driven Initiatives and Media Training in Africa," ***Journalism and Mass Communication Educator.*** 52, 3 (Autumn 1997) Pp. 48-62

(2) Randall, Vicky (1993), "The Media and Democratization in the Third World, " ***Third World Quarterly.*** 14, 3 (September 1993):P. 634

المجتمع الدولي والصحافة المستقلة في أفريقيا:

دشنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا بإعلان وندهوك حول تشجيع الصحافة المستقلة والصحافة التعددية في أفريقيا. وقد صدر هذا الإعلان في العاصمة الناميبية في الثالث من مايو ١٩٩١ وفي أعقاب المؤتمر الذي عقدته اليونسكو لهذا الغرض وشارك فيه ممثلون حكوميون وغير حكوميين ومنظمات حكومية وغير حكومية من جميع دول القارة تقريبا بالإضافة إلى برنامج الأمم المتحدة للتنمية. وقد صادق المؤتمر العام لليونسكو على الإعلان وتبعته الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أعلنت الثالث من مايو يوما سنويا للاحتفال بيوم حرية الصحافة العالمي World Press Freedom Day

ويحوى الإعلان ١٩ مادة تقرر أهمية دور الصحافة المستقلة في تطور الديمقراطية السياسية والتنمية الإقتصادية في أفريقيا، وتعرف الصحافة المستقلة بأنها المستقلة عن الحكومة والقوى السياسية والإقتصادية والمعبرة عن مختلف وجهات النظر.

وقد أشار الإعلان إلى التغيرات التي شهدها عدد متزايد من الدول الأفريقية في مطلع التسعينات نحو الديمقراطية متعددة الأحزاب واعتبرها مناخا ملائما لظهور الصحافة المستقلة. كما دعا المجتمع الدولي والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية ووكالات التنمية والتنظيمات المهنية إلى دعم قيام وتطور الصحف والمجلات والدوريات غير الحكومية والتي تعكس المجتمع ككل وتقدم مختلف وجهات النظر في أفريقيا. وأكد الإعلان على ضرورة حصر الدعم الدولي على تشجيع التعددية والاستقلالية في الصحافة في أفريقيا وقصر دعم وسائل الإعلام الحكومية على الدول التي تضمن فيها السلطات الحرية الفعلية والدستورية للمعلومات والتعبير واستقلال الصحافة.

ولتحقيق ما سبق، دعي البيان إلى إنشاء النقابات الصحفية وجمعيات للمحررين والكتاب والناشرين واعتبرها أولوية متقدمة في كل الدول الأفريقية التي لا توجد بها مثل هذه التنظيمات.

مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة في أفريقيا:

تنفيذا لبعض بنود إعلان وندهوك، وإدراكا منها بالدور الحيوي الذي يمكن إن تلعبه الصحافة المستقلة في دعم التنمية الديمقراطية في أفريقيا، أنشأت منظمة اليونسكو مشروع الصحافة المستقلة[1] The UNESCO Independent Press Project بهدف دعم الامكانات البشرية والفنية للصحافة المستقلة في أفريقيا وتمكينها من المساهمة بفاعلية في عملية التنمية الوطنية والتحول للديمقراطية. ويسعى هذا البرنامج إلى تحقيق أهدافه من خلال تحسين نوعية وكفاءة الصحف المستقلة من خلال التدريب ودعم المؤسسات الصحفية ودعم الممارسات الصحفية الأخلاقية.

وقد نظمت اليونسكو عددا من البرامج التدريبية والمؤتمرات حول النشر الإليكتروني وإدارة الصحف الصغيرة ومتوسطة الحجم وتعليم الصحافة. وقد استفادت عدة صحف مستقلة من هذه المساعدات.

ولا زالت اليونسكو تضع على رأس أولويات هذا البرنامج علاج نقص الكوادر الصحفية المهنية التي تظهر أكثر ما تظهر في الكتابة الصحفية وتقنيات التصوير وأخلاقيات الصحافة وإدارة المؤسسات الصحفية ونقص الإعلانات وغياب الكتابات المتخصصة في موضوعات مهمة مثل التعليم والبيئة والصحة والتنمية.

ويعتزم البرنامج في المستقبل عقد المزيد من الدورات التدريبية، وإمداد الصحف المستقلة بالأدوات والتدريب التقني وإنشاء قاعدة بيانات حول الصحافة الإفريقية وتشجيع تطور الصحف ومساعدة الصحفيين في تحسين مستوى المنتج الصحفي وزيادة المصداقية، بالإضافة إلى تشجيع الحكومات على تهيئة الظروف السياسية والإقتصادية والقانونية لازدهار الصحافة المستقلة.

وإدراكا منها بالدور الحيوي الذي تلعبه الصحافة في دعم التطور الديمقراطي وفي إطار تفعيل إعلان وندهوك وضعت اليونسكو برنامجا تنفيذيا لدعم الصحافة المستقلة في إفريقيا أطلقت عليه إسم "مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة the UNESCO Independent Press Project يهدف إلى دعم القدرات الفنية والبشرية

[1] UNESCO (2003), ***Development of an Independent Press in Africa.*** Available Online at: http://www.unesco.org/webworld/com/strength/strengt...

للصحافة المستقلة في أفريقيا وتمكينها من المشاركة الفعالة في التنمية الوطنية والتحول الديمقراطي. ويسعى المشروع إلى تحقيق أهدافه من خلال تحسين نوعية مخرجات وسائل الإعلام عن طريق التدريب وإمداد الصحف بالتكنولوجيا الحديثة ودعم الممارسات الأخلاقية في الصحافة. وفي هذا الإطار نظم المشروع عددا من البرامج التدريبية وورش العمل والمؤتمرات حول استخدام تكنولوجيا النشر المكتبي في الصحافة وإدارة المؤسسات الصحفية الصغيرة والمتوسطة الحجم واستخدام الانترنت والبريد الاليكتروني في التحرير الصحفي. وقد استفاد عدد من الصحف المستقلة في أفريقيا من هذا المشروع.

ويتضمن مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة تنظيم التدريب المهني للصحفيين وإمداد الصحف المستقلة بالأدوات المناسبة والتدريب التقني وإنشاء قاعدة بيانات عن الصحافة الأفريقية بالإضافة إلى تشجيع نمو وتطور الصحف المستقلة ومساعدة الصحفيين على تحديد إطار الممارسة المهنية من أجل دعم مصداقية الصحف وتشجيع الحكومات على تهيئة الظروف السياسية والاقتصادية والضريبية والقانونية المناسبة لنمو وازدهار الصحف المستقلة.

السمات العامة للصحافة المستقلة في أفريقيا

مع التسليم بالاختلافات القائمة بين الدول الإفريقية وبالتالي بين أوضاع الصحافة المستقلة في كل منها، إلا أننا يمكن أن نستخلص عددا من السمات المشتركة التي تميز ظاهرة الصحافة المستقلة في القارة ككل.

- تسيطر علي سوق الصحافة المستقلة في أفريقيا الصحف صغيرة الحجم وضعيفة الامكانات المادية والبشرية، وباستثناءات قليلة فإن الصحف المستقلة في أفريقيا أسبوعية الدورية وبعضها نصف شهرية وتمتد دورية بعضها إلى الشهرية. كما أن بعض الصحف المستقلة غير منتظمة في الصدور.
- تواضع المستوى الفني للصحف المستقلة، حيث يغلب على هذه الصحف الفقر التقني والتحريري ولا تزيد بعضها عن عدد قليل من الأوراق الرديئة الخالية من أي شكل جمالي نظرا لضعف الامكانات التقنية، كما أنها فقيرة من الناحية التحريرية بشكل واضح. ولا يخدم المستوى المتواضع لهذه الصحف من ناحية المضمون والإخراج ظاهرة الصحافة المستقلة بوجه عام.

- تقلب التوجهات السياسية والإيديولوجيات للصحف المستقلة نتيجة تعبيرها عن أفراد وليس عن قوى سياسية قائمة، وهو الأمر الذي يدفعها إلى التناقض مع نفسها سعيا إلى إرضاء الحكومات للسماح لها بالاستمرار في الصدور.

- التوجه إلى النخبة المتعلمة، وعدم الوصول إلى القواعد الجماهيرية. وتتفق الصحف المستقلة في أفريقيا مع غيرها في هذه السمة مع وسائل الإعلام المطبوعة الأخرى بسبب ارتفاع نسب الأمية في الدول الإفريقية. والواقع أن الصحف المستقلة في أفريقيا لا تختلف عن الصحف الحكومية في كونها نخبوية وتتركز في المدن والمناطق الحضرية وتخدم الجماهير المتعلمة القادرة على القراءة باللغات الأوروبية. ويرى أحد الباحثين الأفارقة أن "الصحافة المستقلة رغم إنها تناضل من أجل إعادة الظهور من الظلال السلطوية لازالت مؤسسات للنخبة وتمثل مع الصحف الحكومية قطاعات مختلفة من النخبة السياسية والإقتصادية"[١].

- وينفي بعض الباحثين[٢] الطبيعة النخبوية عن الصحافة المستقلة في أفريقيا مستندا إلى حقيقة أن قراءة الصحف ليست هي وسيلة الاتصال الوحيدة في البلدان الأفريقية، وإنما هي حلقة في سلسلة الاتصال الإنساني في الثقافات الأفريقية التي تعلي من شأن الاتصال الشفهي، وعليه فإن الصحف المستقلة تصل إلى الجماهير عبر نقل المتعلمين ما قرءوه فيها إلى غير المتعلمين. ويصف أحد الصحفيين الأفارقة هذا الأمر بالإشارة إلى بائعة خضروات غير متعلمة في جامبيا تقوم بشراء صحيفته وتأخذها إلى منزلها مساءً ليقرأها لها أحد أطفالها الذين يذهبون إلى المدرسة. وفي مالي فإن برامج الراديو التي تقدم مقتطفات من المقالات المنشورة في الصحف المستقلة تجذب انتباه عدد أكبر من الجماهير وبشكل يفوق عدد قراء نفس المقالات الأصلية المنشورة في هذه الصحف[٣].

---

(1) Karikari, Kwame (1993), "Africa: The Press and Democracy," ***Race & Class*** 34, 3 (January- March 1993): Pp.56-57.

(2) Wiseman, John A (1996) "***The New Struggle for Democracy in Africa*** (Aldershot, UK: Avebury) P. 56.

(3) "Media: Private Radio Troubles in Ghana," ***Africa Research Bulletin*** (1-28 February 1995) P.11769.

المبحث الثالث

دور الصحافة المستقلة في أفريقيا

يحدد بالدنج[1] دور الصحافة المستقلة في دعم الأنظمة الديمقراطية في القارة الأفريقية في: تشجيع الشفافية، ومحاسبة السياسيين، ومحاربة الفساد، وإنشاء ودعم إقتصاد مستقر وصحي. ولذلك فإن يقيم ارتباطا وثيقا بين نجاح الديمقراطيات الجديدة في تحقيق التحول السريع إلى إقتصاد السوق ونجاحها في إقامة أنظمة صحفية حرة تتمتع فيها الصحافة باستقلالية عن الدولة.

ويعول الكثيرون على الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه الصحافة المستقلة في دعم وتشجيع التحول الديمقراطي في أفريقيا. فعلي الرغم من أنها هي نفسها كانت أحد ثمار موجة التحولات الليبرالية والديمقراطية التي اجتاحت القارة في مطلع التسعينات، فإنها هي نفسها أيضا كانت القوة المحفزة للديمقراطية. ويشير بعض المحللين إلى أن الصحافة بوجه عام والمستقلة منها بوجه خاص كانت عاملا مستقلا رئيسيا في الموجة الديمقراطية في أفريقيا. وفي هذا الإطار يشير فرنسيس كاسوما إلى أن الديمقراطية الليبرالية لم تكن لتصل إلى أفريقيا في تسعينات القرن الماضي وبالتأكيد لم تكن لتستمر بدون تمكين الصحافة المستقلة من أداء دورها".[2] ويرى أريك شينجي أن "نجاح التجربة الديمقراطية في أفريقيا سوف يتوقف على الطريقة التي تعرض بها الصحافة مفهوم الديمقراطية".[3] وينظر بعض الصحفيين الأفارقة إلى أنفسهم على أنهم هم الذين بنوا الأنظمة الديمقراطية الجديدة في بعض الدول الأفريقية.

وإذا كان الصحفيون الأفارقة والباحثون في الصحافة يعلون من شأن دور الصحافة في التحول الديمقراطي في أفريقيا، فإن الباحثين في العلوم السياسية لا ينكرون هذا الدور ولا يقللون من أهميته، لكنهم يعتبرونه عاملا ثانويا من بين عدد من العوامل التي ساهمت في هذا التحول. إذ يشير لاري دايموند على سبيل المثال إلى أن

---

[1] Balding, Timothy (2003), Press Freedom: Ten Years On..."*Ibid, p.2.*

[2] Kasoma, Francis P. (1995), "The Role of the Independent Media in Africa's Change to Democracy," ***Media, Culture & Society*** 17, 4 (October 1995) P. 552

[3] Chinje, Eric (1993), "The Media in Emerging African Democracies: Power, Politics, and the Role of the Press" ***Fletcher Forum*** 17, 1 (Winter 1993) P.63

التوجه نحو الديمقراطية في أفريقيا جاء نتيجة عدد من العوامل والقوي التاريخية من بينها التدهور الإقتصادي في الثمانينات والفشل العام للأنظمة السلطوية وتطور المجتمع المدني، واقتصر دور الصحافة المستقلة (غير الحكومية) بالإضافة إلى محطات الراديو الدولي علي المساهمة في خلق الوعي العام بالتوجه الديمقراطي لدي الجماهير".[1]

ونحن نتفق مع رؤية وتحليل وايسمان[2] لدور الصحافة المستقلة في التحول الديمقراطي في أفريقيا. فهذه الصحافة يمكن النظر إليها على أنها كانت متغيرا مستقلا ومتغيرا تابعا في نفس الوقت في هذا التحول.. كما يمكن النظر إليها على أنها كانت سببا ونتيجة لهذا التحول في نفس الوقت، فظهور الصحف المستقلة عن الحكومة يمكن النظر إليه على أنه نتيجة للمناخ السياسي الجديد الذي تشكل في إطار النضال من أجل الديمقراطية، وبعد ظهورها أصبحت هذه الصحف قوة أساسية بارزة في هذا النضال. ومن النماذج التي تؤكد صحة هذا التحليل لدور الصحافة المستقلة كمتغير تابع ثم كمتغير مستقل في التحول الديمقراطي ما حدث في زامبيا. فقد نجحت المعارضة السياسية في عام ١٩٩١ في تحدى السيطرة الحكومية الشديدة على الصحافة وأجبرت الحكومة على السماح للصحف المستقلة بالظهور. وبعد ظهورها ومن خلال ما كانت تنشره قامت الصحف المستقلة بدعم وتشجيع التحول الديمقراطي والتعددية السياسية وساهمت في إخراج حزب الرئيس كنيث كاوندا الحاكم من السلطة في نفس العام. وفي بنين كان ظهور الصحف المستقلة الأولي في عام ١٩٨٨ إشارة واضحة على قرب سقوط الحكم الماركسي في البلاد، وقد ساهمت هذه الصحف في هذا السقوط من خلال التقارير التي نشرتها عن فساد النظام الحاكم وانتهاكات حقوق الإنسان.

---

[1] Diamond, Larry, (1993) "International and Demostic Factors in Africa's Trend toward Demoeracy," in Festus Eribo and others, eds., ***Windows on Africa: Democratization and Media Exposure*** (Greenville, NC: East Carolina University) P.18.

[2] Wiseman, John A. (1996) ***The New Struggle for Democracy in Africa.*** (Aldershot, UK: Avebury) P.55.

المبحث الرابع

الضغوط القانونية التى تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا

يتطلب ظهور وازدهار الصحافة المستقلة مساحة من الحرية السياسية ودرجة عالية من تحمل النظام الحاكم لها. وإذا كانت بعض الأنظمة الأفريقية قد سمحت للصحف المستقلة بالظهور والعمل في ظل التغيرات السياسية التي أشرنا إليها من قبل فإن درجة تحمل هذه الأنظمة لاستمرار هذه الصحافة لا زالت متقلبة ومتغيرة، وفي بعض الحالات أدى عدم تحمل الأنظمة الحاكمة للصحف المستقلة إلى التراجع عنها وإغلاقها.

الضغوط الحكومية في ضوء الخبرة التاريخية:

ولكي نحدد ونحلل الضغوط القانونية وغير القانونية التى تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا التي ظهرت في مطلع التسعينات من القرن الماضي، لا بد لنا - منهجيا- من وضع هذه الضغوط في سياقها التاريخي حتى يمكننا تقدير حجم التغير الذي أحدثه ظهور الصحافة المستقلة في أوضاع حرية الصحافة في القارة.

والواقع أن الميراث التاريخي للصحافة الأفريقية الذي سبق ظهور الموجة الثانية (الحالية) من الصحافة المستقلة يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الصحافة الأفريقية وباستثناءات قليلة للغاية حرمت تماما من حريتها في فترة ما بعد الاستقلال. وتجمع البحوث والدراسات التي تناولت الصحافة الأفريقية في فترة ما بعد الاستقلال وحتى مطلع التسعينات على حقيقة واحدة وهي أن حرية الصحافة لم تتحقق في أفريقيا جنوب الصحراء أو في إفريقيا بصفة عامة. وقد وصف لويس بورجلت Louise M. Bourgault هذا الأمر بقوله "إن الأدبيات الخاصة بالصحافة الأفريقية تعاملت مع تاريخ الصحافة في القارة على أنه معركة مستمرة بين قادة الحكم العسكري ورجالهم وبين الصحفيين الأبطال".[1]

[1] Bourgault, Louise M. (1993) " Press Freedom in Africa: A Cultural Analysis," ***Journal of Communication Inquiry*** 17, 2 (Summer 1993) P.69.

وقد كان واضحا خلال السنوات الأولي من الاستقلال أن "أفريقيا كانت هي القارة التي تكمم صحافته وتخنقها"[1]. وقد عبر فرانك بارتون عن المفارقة التي حدثت بين التحرر من الاحتلال وقمع الصحافة الوطنية بقوله "عندما جاءت الحرية السياسية إلى القارة.. اختفت حرية الصحافة"وهي المقولة التي يمكن أن نعيد صياغتها عربيا بالقول "عندما دخل التحرر السياسي إلى إفريقيا من الباب.. خرجت حرية الصحافة من الشباك".

وفي السبعينات من القرن الماضي عبر أحد الصحفيين الأفارقة عن وضعية حرية الصحافة في القارة بقوله "إن درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة الآن تحت الحكم الوطني أقل بكثير مما كانت تتمتع به تحت حكم المستعمرين البيض".[2]

وقد خلص حسني نصر[3] إلى نتيجة مشابهة، إذ أكد في بحثه لعلاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا منذ الاستقلال وحتى مطلع التسعينات عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة ايجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في أفريقيا. فقد اتضح أن الصحافة الأفريقية تحت الحكم الوطني كانت مقيدة بجميع آليات التقييد المعروفة: التشريعات والقوانين، والرقابة المباشرة والذاتية. وعانت الصحف وعانى الصحفيون من اضطهاد الحكام الوطنيين. كما أكد أيضا عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة بين نوعية الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية) وبين ازدهار حرية الصحافة. فقد اتضح أن جميع الحكومات التي تولت الحكم أيا كان نوعها وطريقة وصولها إلى السلطة، قد قيدت حرية الصحافة.

في ضوء السياق السابق يمكن تقدير ما تتمتع به الصحافة المستقلة في أفريقيا التي ظهرت في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين، ليس عن طريق مقارنتها بالصحافة المستقلة في مناطق أخرى من العالم ولكن بمقارنتها بما كان عليه الحال في أرضها في الفترات السابقة.

---

(1) Ainslie, Rosalynde (1996) "***The Press in Africa: communication Past and Present***". London: Gollancz. P.212

(2) Jose, Babatunde (1975), "Press Freedom in Africa," ***African Affairs*** 74, 296 (July 1975) P.256

(3) حسني محمد نصر (١٩٩٩)، ***الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا***، مرجع سبق ذكره، ص.١٨٣.

والواقع أن تقييم حرية الصحافة المستقلة في أفريقيا بتنازعه اتجاهان.. اتجاه متفائل يقدر قيمة ما حدث من تغير ويعتبره مقدمة لتوسيع نطاق حرية الصحافة في أفريقيا، واتجاه متشائم يركز على انتهاكات الحكومة لحرية الصحافة المستقلة ويتنبأ بزوال هذه الظاهرة عند أول منعطف تاريخي آخر.

ويري أصحاب الاتجاه المتفائل في ظهور الصحف المستقلة في أفريقيا بعد انقطاع لنحو ثلاثين عاما في حد ذاته تغيرا دراماتيكيا في تاريخ الصحافة الأفريقية وأن هذا الظهور -- في حد ذاته أيضا- يؤكد أن هناك حرية صحافة في الدول التي ظهرت بها. ويستند أنصار هذا الاتجاه من الباحثين على القاعدة المنطقية التي تقول أنه لو لم يكن هناك حد أدني من الحرية لما ظهرت هذه الصحافة، بالإضافة إلى بعض الدلائل الوطنية والعالمية مثل تقارير المنظمات الدولية المعنية بحرية الصحافة. ولا يقيم أصحاب هذا الاتجاه وزنا كبيرا للانتهاكات التي تتعرض لها الصحافة المستقلة من جانب الحكومات ويركزون على قصص النجاح التي حققتها بعض الصحف المستقلة في بعض البلدان الأفريقية. ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه ريتشارد كارفر[1] الذي يري أن ظهور الصحف المستقلة في أفريقيا قلب موازين حرية الصحافة في أفريقيا، وعمر كوناري[2] الذي يري أن الصحف المستقلة قد تمتعت بدرجة كبيرة من الحرية في نشر التحقيقات الصحفية وطرح التساؤلات والخوض في كل الموضوعات التي كان محرما على الصحف الأفريقية الخوض فيها من قبل، ويقول كوناري "إن قاعات التحرير داخل هذه الصحف تحولت إلى قاعات محاكم وتحول الصحفيون إلى محامين للدفاع عن المواطنين".

ورغم اعتراف البعض بالقمع الذي تعاني منه الصحف المستقلة في أفريقيا إلا أنهم يعولون كثيرا على شجاعتها ومرونتها وقدرتها على التكيف التي تمكنها من البقاء والاستمرار. ويشير هؤلاء الباحثين إلى قيام الصحفيين المستقلين الذين تغلق الحكومة صحفهم بإعادة إصدارها بأسماء جديدة.

---

(1) Carver, Richard (1991), "***Truth From Below: The Emergent Press in Africa***. London: International Center Against Censorship. P.3

(2) Konare, Alpha Oumar (1991), "Independent papers enjoy a Whiff of Freedom from Dakar to Kinshasa". ***IPI Report*** (May 1991). P.20

أما أصحاب الاتجاه المتشائم فيرون أن الصحف المستقلة الجديدة ولدت وهي غير محصنة ضد القمع الحكومي، أي بدون غطاء دستوري وقانوني يحميها من الحكومة. بل إن القوانين التي صدرت بعد ظهور هذه الصحافة كانت تستهدف في الغالب تمكين الحكومات الأفريقية من قمع هذه الصحافة. ويستدل أصحاب هذا الاتجاه بوقائع سجن الصحفيين المستقلين وإغلاق بعض الصحف المستقلة في كل الدول الأفريقية التي عرفت هذه الظاهرة مثل بنين والكاميرون وتشاد والكونغو وساحل العاج وإثيوبيا وغانا وكينيا والنيجر وتوجو وزامبيا وزيمبابوي.

وسائل الضغط على الصحف المستقلة:

لإدراك حقيقة ما تتعرض له الصحافة المستقلة في أفريقيا نستعرض في الصفحات التالية العقبات القانونية والقيود الحكومية التي تتعرض لها الصحف المستقلة في أفريقيا في ضوء بعض النماذج التي تساهم في استخلاص نتائج ذات دلالة في تقييم حرية الصحافة المستقلة في أفريقيا.

١.عدم إيمان القيادة السياسية بدور الصحافة المستقلة:

رغم انتهاج بعض الدول الإفريقية سياسات جديدة تسمح للصحف المستقلة بالظهور إلا أن قادة بعض هذه الدول احتفظوا برؤية سلطوية لهذه الصحافة توارثوها من الفترات السابقة تري في هذه الصحف عدوا للحكومة والاستقرار. وتعطي ناميبيا مثالا جيدا على ذلك. فقد كانت ناميبيا في مطلع التسعينات تعيش تجربة ديمقراطية جديدة، وكانت تمثل للمنظمات الدولية في ذلك الوقت نموذج يمكن أن يحقق النجاح ليس فقط في التحول إلى الديمقراطية والانتخابات الحرة بل أيضا في ازدهار الصحافة المستقلة عن سيطرة الحكومة. ولعل هذا ما دفع منظمة اليونسكو إلى اختيار عاصمتها وندهوك مكانا لإعلان وندهوك حول الصحافة المستقلة في عام ١٩٩١، الذي يتضمن مجموعة من المبادئ تستند إلى فكرة أن قيام واستمرار وتقوية صحافة مستقلة ومتعددة وحرة أمر ضروري لتطور الديمقراطية في الدولة.

ورغم أن رئيس ناميبيا في ذلك الوقت سام نجوما Sam Nujoma هو نفسه رئيسها الحالي نتيجة فوزه بالانتخابات الثلاثة التي أجريت في البلاد منذ نهاية

الثمانينات إلا أنه انقلب وبشدة على الصحافة المستقلة، حتى أنه عين نفسه في أعقاب فوزه بفترة رئاسية ثالثة في ٢٠٠٢ وزيرا للإعلام والإذاعة، وذلك لإحكام سيطرته على وسائل الإعلام الحكومية واستخدامها في مواجهة الصحافة المستقلة. ويستند عداء نجوما للصحافة المستقلة من رؤيته للصحفيين المستقلين على أنهم أعداء للبلاد يخدمون المستعمرين السابقين، وهو نفس المبرر الذي يستخدمه روبرت موجابي رئيس زيمبابوي في حربه ضد الصحافة المستقلة. ويشير آدم بوسلنس إلى أن غضب نجوما على الصحف المستقلة قد تصاعد بعد انتقادها قرار الحزب الحاكم المعروف باسم سوابو SWAPO تعديل الدستور للسماح للرئيس بدخول الانتخابات لفترة رئاسية ثالثة بالإضافة إلى كشفها قضايا فساد لبعض المسئولين الحكوميين وقضايا انتهاك حقوق الإنسان داخل البلاد والممارسات غير الإنسانية للقوات الوطنية داخل جمهورية الكونغو الديمقراطية.

وقد تمثلت المضايقات التي اتبعها المسئولون الحكوميون وعلي رأسهم الرئيس نجوما ضد الصحف المستقلة في:

- حرمانها من المعلومات
- اتهامها بتشويه صورة البلاد في الخارج
- جر الصحف المستقلة إلى المحاكم
- حرمانها من الإعلانات والتضييق عليها في التوزيع
- تحريض الجماهير على مقاطعتها

فقد وبخ نجوما الصحفيين بشدة في خطابه بمناسبة احتفال اليونسكو بمرور عشر سنوات على إعلان وندهوك في ربيع ٢٠٠١، واتهمها أنها لا تفهم مسؤولياتها، وإدعي أن الصحفيين يريدون مزيدا من الحرية لأسباب تجارية وذلك عن طريق نشر الموضوعات الحساسة والمعلومات المضللة والتزييف لبيع صحفهم وبناء إمبراطوريات إعلامية لا يجرؤ أحد على المساس بها. وعبر نجوما عن قناعته بأن الصحافة يجب أن تعمل كأداة لنشر المعلومات الحكومية.

ورغم عدائها للصحافة المستقلة إلا أن حكومة ناميبيا توقفت عن الأساليب القمعية السابقة في التعامل مع الصحف المستقلة، واستعاضت عنها إلى جانب الحرمان من المعلومات وتحريض الجماهير على عدم شرائها، بجرها إلى المحاكم. ففي عام ١٩٩٨ فرضت وزارة الدفاع حظرا كاملا على أخبار الحرب في جمهورية الكونغو الديمقراطية التي كانت تشارك فيها قوات من ناميبيا. وفي نفس العام قدم نجوما صحيفة وندهوك أوبزرفر Windhoek Observer المستقلة إلى المحاكمة بتهمة القذف لنشرها مقالات تتهمه بالفساد. وفي يونيو ٢٠٠٠قدم نجوما نفس الصحيفة إلى المحاكمة بتهمة القذف في حقه لنشرها مقالا أشارت فيه إلى ملكيته لمنجم ماس في الكونغو الأمر الذي أثار الأقاويل حول دوافع ناميبيا للتورط في الحرب الأهلية في الكونغو.

وفي ربيع عام ٢٠٠١ أمر الرئيس نجوما بفرض حظر إعلاني وتوزيعي على صحيفة The Namibian التي تحتل مكانة مرموقة محليا ودوليا باعتبارها من أقوى الصحف المستقلة في ناميبيا. وفي سبتمبر ٢٠٠٢ دعت رابطة الشباب بالحزب الحاكم الجماهير إلى مقاطعة الصحيفة نفسها وعدم شرائها لنشرها رسما كاريكاتوريا صورت فيه الرئيس نجوما على أنه كلب الهجوم بالنسبة للرئيس الزيمبابوى روبرت موجابي. وقد تضمنت الدعوة مقاطعة كل الصحف المستقلة التي تتضمن نقدا لزعيم البلاد.

وقد وصل عداء المسئولين الحكوميين للصحافة المستقلة في بعض الدول الأفريقية إلى حد تلفيق اتهامات أخلاقية لرؤساء تحرير هذه الصحف، مثلما حدث في أوغندا مع تيدي شاييه رئيس تحرير صحيفة Uganda Confidential الأسبوعية المستقلة الذي اتهمته السلطات بالتحرش الجنسي وخطف فتاة بغرض الاعتداء عليها ولكن المحكمة برأته وأكدت أن الاتهام كان ملفقا من جانب مسئولين كان شاييه قد نشر مقالات في صحيفته تتهمهم بالفساد.

ولم تستطع بعض الحكومات الإفريقية تحمل أي نقد توجهه الصحف المستقلة لأدائها حتى وإن كان بسيطا، وعلي سبيل فقد أغلقت حكومة ليبريا صحيفة The Daily Observer المستقلة لمدة شهر في عام ١٩٩٣ بسبب نشرها صورة فوتوغرافية لطريق

موحل في العاصمة منروفيا مدعية أن نشر هذه الصورة يهدد الاستثمارات الأجنبية في البلاد.

٢. إتباع أساليب مضللة لإغلاق الصحف المستقلة:

تأخذ المضايقات الحكومية للصحف المستقلة أشكالا متباينة في الدول الأفريقية المختلفة تتراوح بين إغلاق الصحف المستقلة وسجن الصحفيين المستقلين الذين يعبرون عن وجهات نظر مخالفة للحكومة وبين إصدار قوانين الصحافة البالغة الشدة في التعامل مع الصحافة المستقلة. وتمارس بعض الحكومات الإفريقية نوعا من التضليل الإعلامي لصرف النظر عن ممارساتها ضد حرية الصحافة وتبرير إغلاقها للصحف المستقلة. ويتضح هذا الأمر أكثر ما يتضح في إرتريا التي بررت حكومتها إغلاق جميع الصحف المستقلة بعدم قدرة هذه الصحف على التجاوب مع نصوص قانون الصحافة الذي يلزم الصحف بالحصول على ترخيص من الحكومة.

وتعطي إرتريا التي تندرج ضمن أكثر الدول الأفريقية انتهاكا لحرية الصحافة نموذج واضح على النوع الأول من المضايقات. إذ قامت حكومة الرئيس اسياسي افورقي في سبتمبر ٢٠٠١ بإغلاق جميع الصحف المستقلة وعددها ست صحف، في محاولة لمنعها من تغطية حملتها على المعارضين للحزب الحاكم الذي يتولى حكم البلاد منذ استقلالها عن إثيوبيا في عام ١٩٩٣. كما قامت الحكومة بزج الصحفيين المستقلين الذين يبدون أية وجهات نظر ناقدة للسياسات الحكومية في السجن. وتمارس حكومة إرتريا مثلها في ذلك مثل حكومات أنجولا وبوروندي وجمهورية الكونغو الديمقراطية وإثيوبيا وليبيريا وزيمبابوي كل الانتهاكات ضد الصحفيين المستقلين من الاعتقال والسجن والمعاملة السيئة والنفي والتهديد بالموت وحتى القتل بذريعة أن ما ينشروه يهدد الوحدة الوطنية في البلاد.

٣. مهاجمة الصحف المستقلة:

بالإضافة إلى الأساليب التقليدية، تعرضت الصحف المستقلة في بعض الدول الأفريقية إلى أشكال أخرى أكثر عنفا مثل مهاجمة مقارها وتفجير أبنيتها. ففي زيمبابوي قام أعضاء مجهولون من الحزب الحاكم بتفجير مقر صحيفة Voice of the

People المستقلة في أغسطس ٢٠٠٢. وكان قد سبق هذه الحادثة ثلاثة تفجيرات لمقر صحيفة Daily News التي كانت الصحيفة الوحيدة المستقلة في البلاد في عام ٢٠٠١.

ولا يتوقف الأمر على أنصار الحكومة في مهاجمة مقار الصحف، إذ تسند هذه المهمة في بعض الأحيان إلى قوات البوليس. ففي أوغندا على سبيل المثال قام البوليس بمداهمة مقر صحيفة The Monitor في أكتوبر ٢٠٠٢ وحطم محتوياته وصادر المعدات وأغلق الصحيفة لمدة أسبوع.

٤. استخدام النظام القضائي غير المستقل لمحاربة الصحف المستقلة:

تقع الصحافة المستقلة في بعض البلدان الأفريقية تحت رحمة النظام القضائي غير المستقل عن الحكومة والذي أظهر في أكثر من مناسبة عدائه الكبير للصحافة المستقلة. ففي إثيوبيا حكم بالسجن لمدد طويلة على ثلاثة من رؤساء تحرير صحف مستقلة لأنهم سمحوا لبعض المعارضين بالتعبير عن أرائهم في صحفهم. وفي أوغندا يتم تطبيق قانون التحريض على العنف بصورة انتقائية على الصحفيين الذين لديهم رؤى مخالفة للحكومة، كما استخدمت حكومة زيمبابوي قانون حماية الخصوصية لتسهيل القبض على عدد من رؤساء تحرير الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين.[1]

وقد عبر تقرير للمعهد الدولي للصحافة في عام ١٩٩٥ عن حقيقة ما قامت به بعض الحكومات الأفريقية في ميدان الصحافة المستقلة، مشيرا إلى محاولة بعض الحكومات الأفريقية خلق سراب أسمه الديمقراطية وقيامها بما أسماه "عملية تجميل" لممارساتها ضد الصحافة المستقلة. فبدلا من استخدام العنف العلني تسعي حكومات عديدة إلى المحاكم في محاولة لتجريم ما يكتبه الصحفيون. وفي محاولاتها إظهار توجهها الليبرالي للعالم تسمح بعض الحكومات بصدور مطبوعات مستقلة، ولكن تبقي هذه المطبوعات عرضة للضرائب العقابية والتنظيم والتحكم في واردتها من المطابع ووسائل توزيعها. كما أظهر مسح ميداني لصحفيين من ٢٩ دولة أفريقية في عام ١٩٩٦ أن الصحافة المستقلة في غالبية الدول المسموح لها بالصدور فيها تعاني من

(1) Amnesty International (2003), ***Repression of Press Freedom in Africa.*** Report Available Online at: http://news.amnesty.org/mavp/news.nsf/0/1720B?openDocu...

سيطرة شديدة من جانب الحكومة وضغوط خفية خاصة ما تخضع لـه مـن قـوانين للصحافة والنشر.[1]

٥.استغلال حالات الطوارئ لفرض الرقابة على الصحف المستقلة:

رغم توجهها نحو الديمقراطية فإن بعض الدول الأفريقية لجأت في أحيان كثيرة لى إعلان حالة الطوارئ في مناسبات مختلفة الأمر الذي انعكس سـلبا علـى نمـو وتطور الصحف المستقلة التي كانت إحدي ضحايا حالة الطوارئ على الـدوام. ففـي غانا وبعد أن عاشت الصحف المستقلة فترة ازدهار دامت أكثر من عام تحـت حكـم الرئيس جون أجيكوم كوفور عادت الحكومة لتفرض عليها قيودا شديدة فـي أعقـاب اعلان حالة الطوارئ بسبب النزاعات القبلية العرقية في البلاد والتي تضمنت فـرض رقابة على الصحف خاصة المستقلة منها.

٦. منع الصحف المستقلة من تغطية بعض الأحداث:

في إطار التضييق على الصحف المستقلة والحد من قدرتها على الانتشار تتجـه بعض الحكومات إلى التمييز ضدها لصالح الصحف الحكومية عن طريق منعها مـن تغطية بعض الأحداث المهمة. وعلي سبيل المثال منعت الحكومة في زامبيا الـصحف المستقلة من حضور جلسات البرلمان خاصة الجلسات المهمة مثل جلسة انتخاب رئيس المجلس.

تفسير تباين الضغوط الحكومية علي الصحف المستقلة:

يمكن تفسير تباين حجم الضغوط التي تتعرض لها الصحف المستقلة في البلـدان الأفريقية في ضوء عدد من الاعتبارات التاريخية والجغرافية، وهي:

- الميراث التاريخي الاستعماري والوطني في التعامل مع الصحف المستقلة. ويتضح دور هذا العامل إذا قارنا بين الضغوط التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في دولة مثل بنين شهدت منذ بدايات الاستعمار الفرنسي لهـا صـحافة مـستقلة مزدهـرة ومقاومة للضغوط وبين الصحافة المستقلة في دولة أخرى مثل ساحل العاج التي لم

[1] African News Bulletin (ANB-BIA *(1998), Africa: Manifestations of democracy An independent Press and a Free Judiciary*, ANB-BIA Supplement, No 345- 01/05/1998.

يكن لديها صحفا مستقلة إبان الفترة الاستعمارية. فقد مكن الميراث التاريخي للصحافة المستقلة في بنين الموجة الجديدة من الصحف المستقلة التي ظهرت في البلاد في مطلع التسعينات من التعايش ومقاومة القمع الحكومي الذي كان شائعا في الدول الأفريقية الأخرى، وفي المقابل لم تستطع الصحف المستقلة في ساحل العاج مقاومة هذه الضغوط خاصة في النصف الأول من عقد التسعينات لافتقارها إلى ميراث تاريخي في مقاومة القمع الحكومي. فالقمع الذي تواجهه الصحف المستقلة والعقوبات التي يتعرض لها الصحفيون المستقلون في ساحل العاج "يعود في جزء منه إلي عدم رسوخ ثقافة التسامح مع المعارضين والصحف المعارضة"[1].

- التأثير الجغرافي من دول الجوار، إذ تتأثر تجارب الدول في التعامل مع الصحف المستقلة بالتجارب المماثلة في دول الجوار، وهذا ما يؤكده تأثر حكومة ناميبيا في التضييق على الصحف المستقلة بما تقوم به حكومة زيمبابوى في هذا المجال.

- الظرف الاستثنائي (نموذج سيراليون) إذ رفعت الحكومة المنتخبة بعد الحرب الأهلية الطويلة يدها تماما عن الصحف المستقلة نتيجة انشغالها بقضايا أكثر أهمية مثل محاكمة المتمردين وتضميد جراح الحرب الأهلية وإعادة بناء الدولة. ولذلك تتمتع الصحف المستقلة مثل The African Champion، وصحيفة For Di People، وصحيفة Pool بدرجة كاملة من الحرية في انتقاد السياسيين وذلك بأصحابها ورؤساء تحريرها.

[1] Campbell, Joseph (1998), *the Emergent Independent Press,* Ibid. P.3.

المبحث الخامس

الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا

تواجه الصحافة المستقلة في أفريقيا عقبات كثيرة هي نفسها تقريبا ما تعاني منه الصحافة بصفة عامة في القارة السمراء منذ الاستقلال وخروج المستعمر. "فلا زالت الصحافة الأفريقية تعاني من نفس المشكلات التي كانت تعاني منها في فترة الاستقلال التي امتدت من نهاية الخمسينات وحتى مطلع السبعينات من القرن العشرين".[1] كما أن الصعوبات والقيود التي تواجه الصحافة الأفريقية على مدى الثلاثين عاما الأخيرة "لازالت هي نفسها: ضعف التمويل.. والمصادر المالية المحدودة.. وضعف القاعدة الإعلانية.. وضعف قاعدة القراء.. والتدريب المهني المحدود للصحفيين"[2].

مصادر التمويل:

يمكن حصر مصادر تمويل الصحف المستقلة في أفريقيا اذا استبعدنا التمويل الحكومي المباشر وغير المباشر الذي يمكن أن ينفي عن الصحف التي تحصل عليه صفة الاستقلال، في الأموال القليلة التي كونها بعض ناشري هذه الصحف في الخارج ومساعدات الأقارب والأصدقاء إلى جانب تجمع بعض الصحفيين لتأسيس صحيفة بطريقة تعاونية فيما بينهم.

ولا يمثل التوزيع مصدرا ذا قيمة كبيرة للصحف المستقلة في أفريقيا نتيجة انخفاض عدد القراء في بعض الدول وانخفاض المستوى التحريري والإخراجي للصحف وانخفاض القدرة الشرائية لدي القراء. ولا يضمن تحسن مستوى الصحف تحول التوزيع إلى أن يكون مصدرا أساسيا من مصادر تمويل الصحف المستقلة.

---

(1) Pratt, Cornelius (1993), " Fallacies and Failures of Communication for development: A commentary on Africa South of Sahara," ***Gazette*** 52, 2. P.93.

(2) Lansner, Thomas,(1996) "The Press in Africa: Peril and Progress," ***Freedom Review***(March- April 1996) pp. 43-46.

أما الإعلانات فبالإضافة إلى حرمان الصحف المستقلة التي تنتقد الحكومة من الإعلانات الحكومية، فإن الشركات الخاصة- على قلتها- في القارة الأفريقية تعزف عن منح إعلانات للصحف المستقلة خشية غضب الحكومات عليها. وكلما زاد انتقاد الصحيفة المستقلة للحكومة كلما زاد عزوف هذه الشركات عن الإعلان فيها.

وتعتمد بعض الصحف المستقلة على تمويل بعض الأحزاب السياسية والمرشحين السياسيين لها خاصة في فترات الانتخابات، إلا أن هذه الصحف غالبا ما تكون قصيرة العمر وتختفي بعد انتهاء الانتخابات وتوقف التمويل الحزبي أو الشخصي لها.

كما تعتمد الصحف المستقلة في بعض البلدان الإفريقية على المساعدات الخارجية من بعض المنظمات المعنية بتشجيع التحول الديمقراطي وحرية الصحافة في العالم الثالث. وعلي سبيل المثال فقد تلقت صحيفة L'Aurore الأسبوعية المستقلة في مالي مساعدات مالية من صندوق التنمية الأوروبي.

وتندر في القارة الأفريقية استثمارات الشركات الإعلامية متعددة الجنسية في مجال الصحافة المستقلة، فعلي خلاف ما حدث في شرق ووسط أوروبا بعد سقوط الحكم الماركسي لم تتجه الشركات الغربية إلى امتلاك أو إنشاء صحف في الدول الأفريقية لأسباب عديدة من بينها انعدام الجدوى الاقتصادية لهذه الصحف ورفض الدول الإفريقية القاطع السماح بدخول الاستثمار الأجنبي في الصناعات الإعلامية.

ويرد بعض المحللين تردى الأوضاع الإقتصادية للصحف المستقلة في أفريقيا إلى الحكومات التي نجحت في محاربة هذه الصحف بطرق جديدة لا تثير ضدها المجتمع الدولي ومنظمات حماية الصحفيين. فبدلا من القمع المباشر وإغلاق الصحف وسجن الصحفيين المستقلين اتجهت الحكومات إلى وسائل أخرى للقمع تتمثل في حجب الإعلانات عنها وخلق مشكلات مالية لها وأحيانا إجبار الصحف على التوقف عن الصدور بسبب نقص الأموال[1].

[1] Sorokobi, Yves, (2002), ***Attacks on the Press in 2002: Overview Africa***. Available online at: http://www.cpj.org/attacks02/africa02/africa.html

الضغوط الإقتصادية والتكنولوجية والمهنية:

يمكن تقسيم الصعوبات الإقتصادية التي تواجهها الصحف المستقلة في أفريقيا إلى نوعين أساسين، هما:

- صعوبات إقتصادية وتكنولوجية ناتجة عن تدخل حكومي لحرمانها من الإعلانات الحكومية القليلة، والتضييق عليها في التوزيع ومنع شرائها للإدارات الحكومية. وتشير بعض التقارير في هذا الصدد إلى إتباع الحكومات أساليب بارعة لإجبار الصحف المستقلة على التوقف عن الصدور، على رأسها قصر الإعلانات الحكومية على الصحف الحكومية التي تتمتع بوضع احتكاري كامل في هذا المجال.
- صعوبات ناتجة من الأوضاع الإقتصادية العامة المتردية في بعض البلدان الأفريقية. وتقدم تجربة الصحافة المستقلة في سيراليون نموذج على النوع الثاني من هذه الصعوبات. فالصحف المستقلة القليلة التي ظهرت في هذه الدولة في عام ٢٠٠٢ وبعد نحو عقد من الحرب الأهلية الطاحنة التي اندلعت في ١٩٩١ وراح ضحيتها نحو ٥٠ ألف شخص، تعاني من مشكلات إنتاجية عديدة يبدو أن الحكومة التي تم انتخابها في مايو ٢٠٠٢ ليس لها دخل فيها. وتتمثل هذه الصعوبات في "عدم توافر المطابع الحديثة والاعتماد على مطابع قديمة كثيرة الأعطال وأجهزة كمبيوتر متهالكة"[1]

والواقع أن الصعوبات المالية التي واجهتها الصحف المستقلة الجديدة في أفريقيا كانت العامل الرئيسي في توقف عدد كبير من هذه الصحف عن الصدور ولا زالت تهدد القائمة منها حتى اليوم. فقد توقفت بعض الصحف المستقلة عن الصدور بعد صدور عدد واحد منها فقط. ويمكن تفسير هذا الأمر الذي تكرر مع أكثر من صحيفة وفي أكثر من دولة إفريقية بأن المناخ الجديد من الحرية الذي شهدته بعض الدول الأفريقية قد أغري بعض الصحفيين إلى المسارعة بإصدار صحف مستقلة عن الحكومة فور حدوث التغير السياسي في بلادهم دون التفكير في مسألة التمويل والموارد المالية اللازمة لاستمرار هذه الصحف، الأمر الذي أدي إلى الاختفاء السريع لبعض من هذه الصحف.

---

[1] Sorokobi, Yves, (2002), ***Identity Crisis***. Available online at: http://www.cpj.org/Briefings/2002/sierra_leone_aug02.html

ويميل بعض الباحثين إلى التقليل من شأن الصعوبات المالية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا كعامل من عوامل إخفاق هذه الصحافة. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن هناك نماذج ناجحة وصحف مستقلة استطاعت التغلب على العقبات الإقتصادية والاستمرار في العمل. وتشهد الصحف المستقلة في بعض الدول الأفريقية مثل ساحل العاج وبنين ازدهارا إقتصاديا شجعها على التحول من الدورية الشهرية والأسبوعية إلى الدورية اليومية. وقد استطاعت بعض الصحف المستقلة التقليل من الصعوبات المالية التي تواجهها عن طريق التعاون مع الصحف المماثلة في الدول المجاورة، وعلي سبيل المثال كانت صحيفة Haske الأسبوعية التي تصدر في النيجر تُطبع في مطابع صحيفة La Gazette du Golfe في بنين بتكلفة منخفضة.

وقد نجحت بعض الصحف أيضا في الاستفادة من المزايا التي منحتها الحكومة إياها دون أن تفقد استقلالها ودون أن تتحول إلى أدوات للحكومات. فالصحف المستقلة في بنين تستفيد بالخفض الذي قررته الحكومة لأجور البريد والهاتف والطباعة والإعفاءات الضريبية والجمركية. كما حصلت الصحف المستقلة في السنغال في عام ١٩٩٠ على إعانات مالية مباشرة بلغت ٣٣ ألف دولار لكل صحيفة لمواجهة تزايد تكلفة الطباعة[١]. ورغم اعتبار البعض هذه المساعدات وسيلة اتبعتها الحكومة لدفع الصحف المستقلة إلى معسكر الصحف الحكومية، إلا أن البعض الآخر يرى أن الصحافة المستقلة في السنغال لا زالت- رغم قبولها المساعدات الحكومية- من أقوى الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء، كما أن تقديم مساعدات حكومية للصحف لا يعنى بالضرورة تخليها عن استقلالها حتى أن حكومات بعض الدول الديمقراطية مثل فرنسا والسويد تمنح الصحف مثل هذه المساعدات المباشرة.

- عدم توافر الكوادر البشرية المؤهلة، إذ مثل نقص الخبرة لدي الصحفيين وربما لدي رؤساء تحرير الصحف المستقلة عائقا كبيرا أمام مصداقية الصحف المستقلة، "إذ كان الصحفيون كثيرا ما يوجه إليهم اللوم نتيجة التقارير غير الصحيحة التي ينشرونها في هذه الصحف".[٢]

---

(1) Carver, Richard. (1991) ***Truth from Below: The Emergent Press in Africa.*** London: International Center Against Censorship. P.56.

(2) Sandbrook, Richard (1996), "Transitions Without Consolidation". Ibid. pp. 81-85.

وبصفة عامة فإن محرري الصحف المستقلة الأولي في غالبية البلدان الأفريقية التي ظهرت فيها هذه الصحف كانوا قليلي الخبرة بالعمل الصحفي والعمل الإداري أو بدون خبرة سابقة في هذين المجالين على الإطلاق. وقد لاحظ أحد الباحثين[1] أن الأشخاص الذين أسند إليهم تدريب هؤلاء الصحفيون من قبل مؤسسات وهيئات دولية لم يكن لديهم التأهيل الصحفي اللازم للقيام بهذا العمل.

[1] Martin, Robert (1992), "Africana: Building Independent Mass Media in Africa," ***Journal of Modern African Studies*** 30, 2. p. 337.

خاتمة

الإجابة عن تساؤلات البحث:

١. ما العوامل التي ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟.

خلص الباحث إلى أن ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في الدول الأفريقية لا يمكن إرجاعه إلى عامل أو سبب واحد، وإنما يعود إلى أكثر من عامل نوجزها فيما يلي:

- اشتراك العاملين الخارجي والداخلي مجتمعين في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا. فقد كشف البحث أن تردى الأوضاع الداخلية وفشل خطط التنمية بالاضافة الى انهيار الاتحاد السوفيتي وتحول دول الكتلة الاشتراكية في شرق ووسط أوروبا إلى الديمقراطية تضافرت معا كعوامل داخلية وخارجية لتقود إلى تغيرات سياسية في بعض دول القارة الافريقية وأدت فيما أدت اليه إلى ظهور الصحف المستقلة عن الحكومات.
- الميراث التاريخي للصحافة المستقلة في بعض دول القارة، إذ تركز ظهور الصحافة المستقلة في بداية الموجة الثانية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في الدول التي كانت قائمة بها من قبل أثناء الفترة الاستعمارية مثل بنين والكاميرون وغانا والسنغال، ومع هذا فإن الميراث التاريخي لم يكن له أي دور يذكر في ظهور الصحافة المستقلة في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء، علي أساس أن دولا أخرى لم يكن لها سابق تجربة في الصحافة المستقلة قد شهدت مولد وازدهار الصحافة المستقلة في الفترة نفسها.
- برامج تعليم الصحافة في بعض الدول الأفريقية وبرامج تدريب الصحفيين التي نظمتها منظمات غربية، التى يعود إليها تشجيع الأجيال الجديدة من الصحفيين الأفارقة على إصدار الصحف المستقلة أو العمل فيها.

- تأثير الصحف الأجنبية التي سمحت بعض الحكومات الأفريقية بدخولها البلاد على تطلعات الصحفيين الوطنيين وتزايد رغبتهم في إصدار صحف مستقلة عن الحكومة على النمط الغربي.
- سفر بعض الصحفيين إلى الخارج للتدريب أو العمل وعمل البعض الآخر كمراسلين للصحف الأجنبية.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة في أفريقيا يمكن أن تظهر وتستمر رغم الفترات الطويلة من القمع والحكم السلطوي، كما أنها يمكن أن تظهر وتستمر بصرف النظر عن تاريخ الدولة في التعامل مع الصحافة، يؤكد هذا أن هذه الصحف قد ظهرت في دول كانت سلطوية ودول كان يحكمها حزب واحد ودول كانت خاضعة للحكم العسكري، كما ظهرت في دول كانت مستعمرات فرنسية سابقة ودول كانت مستعمرات إنجليزية سابقة. وخلصت الدراسة أيضا إلى أنه ليس هناك شروطا مسبقة لظهور واستمرار الصحافة المستقلة عن الحكومات في أفريقيا، سوى حدوث تحول سياسي نحو الديمقراطية.

٢. ما طبيعة الدور الدولي وأبعاده في تشجيع ظهور واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

كشفت الدراسة اهتمام المجتمع الدولي بظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا في السنوات الأولي من عقد التسعينات، إذ سارعت منظمة اليونسكو إلى إعلان تشجيعها ودعمها للظاهرة من خلال إعلان وندهوك الذي صدقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة واعتبرت يوم إعلانه يوم عالميا لحرية الصحافة.

ورغم هذا الاهتمام إلا أن الدور الدولي في تشجيع الصحافة المستقلة في أفريقيا تميز بالضعف الشديد وذلك للأسباب التالية:

- أنه اقتصر على دعم محدود للصحافة المستقلة لم يتخط حاجز عقد بعض الدورات التدريبية للصحفيين وورش العمل المعنية بإدارة الصحف الصغيرة والمتوسطة، في إطار برنامج اليونسكو للصحافة المستقلة.
- لم يهتم بتفعيل غالبية بنود إعلان وندهوك خاصة ما يتعلق منها بتقديم الدعم المادي والتقني للصحف المستقلة في أفريقيا.

- لم تتابع اليونسكو تنفيذ ما دعي إليه الإعلان من إنشاء النقابات والجمعيات الصحفية في الدول الأفريقية.
- لم تضع اليونسكو الآليات اللازمة للضغط على الحكومات الأفريقية لوقف التمييز الذي تمارسه ضد الصحف المستقلة لصالح الصحف الحكومية.

وقد تراجع اهتمام اليونسكو بالصحافة المستقلة في السنوات الأخيرة مع تراجع الإهتمام العالمي بالقارة الأفريقية في مطلع الألفية الجديدة نتيجة عوامل متعددة من بينها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ واتجاه أنظار الغرب إلى مناطق أخرى من العالم أكثر سخونة.

٣. ما أبرز سمات الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

مع الأخذ في الاعتبار بخصوصية ظاهرة الصحافة المستقلة في كل دولة لأفريقية على حدة فإن الدراسة قد كشفت عن عدد من السمات المشتركة في ظاهرة الصحافة المستقلة وهي:

- تتسم الصحف المستقلة في غالبية دول القارة بصغر الحجم وضعف الامكانات المادية والبشرية.
- يغلب علي الصحف المستقلة في أفريقيا الدورية الأسبوعية وتمتد دورية بعضها إلى نصف شهرية وشهرية.
- تعانى الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من عدم الانتظام في الصدور.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من تواضع المستوى الفني، حيث يغلب على هذه الصحف الفقر التقني والتحريري.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من تقلب التوجهات السياسية والإيديولوجيات
- تتوجه الصحف المستقلة في غالبية دول القارة إلى النخبة المتعلمة، ولا تصل في الغالب إلى القواعد الجماهيرية.

٤. ما طبيعة وحدود دور الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

خلصت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة تُعد متغيرا مستقلا ومتغيرا تابعا في نفس الوقت في التحول الديمقراطي في دول أفريقيا، وأنها كانت سببا ونتيجة لهذا التحول علي أساس أن ظهور الصحف المستقلة عن الحكومة جاء نتيجة للمناخ السياسي الجديد الذي تشكل في إطار النضال من أجل الديمقراطية، وبعد ظهورها أصبحت هذه الصحف قوة أساسية بارزة في هذا النضال.

٥. ما الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

كشفت الدراسة أن الصحف المستقلة في أفريقيا لا زالت تتعرض للعديد من الضغوط الحكومية القانونية وغير القانونية التي يمكن حصرها فيما يلي:

- نصوص قوانين الصحافة والنشر التي تجرم توجيه النقد للحكومة أو المسئولين السياسيين، وتضع قيودا على إصدار الصحف المستقلة دون الحصول على ترخيص مسبق من الحكومة.
- ملاحقة الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين قضائيا وتوجيه النظام القضائي غير المستقل عن الدولة إلي إصدار أحكام قاسية عليهم.
- إغلاق الصحف المستقلة لمدد متفاوتة وبأوامر إدارية بدعوى نشرها ما يشوه سمعة الدولة أو ما يسئ إلى القيادات الحاكمة.
- حرمان الصحف المستقلة من الإعلانات والإعانات الحكومية والتضييق عليها في الطباعة والتوزيع.
- الانتقادات العلنية التي يوجهها كبار المسئولين بما فيهم رؤساء الدول إلى الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين والطعن في موضوعيتهم.

٦. ما الضغوط غير الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

انتهت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة في أفريقيا لا تعاني من الضغوط الحكومية فقط ولكنها تتعرض لضغوط ربما أشد ليست الحكومات طرفا فيها مثل تدني المستوى التحريري والإخراجي لها نتيجة نقص الامكانات البشرية والمادية، بالإضافة عن تخلفها في مواكبة التطورات التكنولوجية في مجال الصحافة المطبوعة نتيجة

نقص الامكانات التكنولوجية. ولم تنجح البرامج التدريبية التي نظمتها منظمات دولية في تقليل الفجوة في التدريب والتأهيل الصحفي نظرا لقلة هذه الدورات واعتمادها على مدربين في حاجة إلى تدريب. كما لم تنجح برامج دعم الصحافة المستقلة نتيجة ضآلة الاعتمادات المالية المخصصة لها.

خاتمة:

رغم النجاح الذي تحقق لبعض تجارب الصحافة المستقلة في أفريقيا خلال السنوات الماضية إلا أن غياب الضمانات الخاصة باستمرار هذا النوع من الصحافة يلقي بظلاله على مستقبلها في معظم أنحاء القارة، الأمر الذي يؤكد أن قيام واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا عملية معقدة وليست سهلة كما قد يتصور البعض. ويمكن القول إن الصحافة المستقلة في أفريقيا تخوض نضالا شرسا من أجل الحياة ضد كل من يحاول التحكم فيها سواء بشكل علني أو سري.

كما أن بقاء هذه الصحافة مستقلة من الناحية الاقتصادية يثير شكوكا كثيرة في ظل عدم كفاية الأسواق لارتفاع نسب الأمية وتدني دخول المواطنين، وسيطرة الحكومات على أدوات الإنتاج الصحفي مثل المطابع ووسائل التوزيع وضعف بنية المواصلات، بالإضافة إلى النقص الحاد في الكوادر الصحفية والإدارية المحترفة والمدربة.

إن الصعوبات والعوائق الإقتصادية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا لا تقل خطورة عما يمكن أن تواجهه من صعوبات سياسية، فالظروف الإقتصادية غير المواتية يمكن أن تتساوى بالنسبة لمستقبل الصحافة المستقلة مع انعدام الديمقراطية وعدم وجود حماية قانونية لحرية الصحافة.

لقد فشل المجتمع الدولي الذي طالبه إعلان وندهوك بتقديم الدعم للصحافة المستقلة في أفريقيا في تنفيذ تعهداته، رغم تأكيد البيان على أهمية هذه الصحافة وضرورتها لنجاح أية جهود تستهدف تحقيق تقدم إقتصادي وسياسي وتحقيق الاستقرار في دول القارة. فقد ظل ظهور ونمو الصحف المستقلة مرهونا برغبة الأنظمة السياسية وتقلباتها ولم تصبح تقليدا يمكنه أن يتجاوز هذه الرغبات والتقلبات. واقتصر الدعم الدولي كما رأينا على بعض الدورات التدريبية للصحفيين وهي دورات لا تأخذ في اعتبارها خصوصية التجربة الأفريقية في الصحافة والفوارق الجوهرية بينها وبين الصحافة الغربية.

لقد أوضح البحث أن استمرار ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا يتطلب ظروفا مواتية داخلية وخارجية تدعم التحول الديمقراطي في القارة السمراء وهو التحول الذي لا يمكن للصحافة المستقلة الحياة والازدهار بدون اكتماله.